دروس في الصليب

السر العجيب في فخر الصليب

بقلم الدكتور صموئيل زويمر

نقله إلى العربية رزق مرقس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة

لما اكتشفت أوربا الطريق البحري إلى الهند سافر بعض التجار البرتغاليين بحراً حتى وصلوا إلى شواطئ الصين. وإذ توطنوا هنالك بنوا على ساحله الجنوبي، على مرتفعة تطل على الميناء، كنيسة عظيمة سقطت منذ ثلاثة قرون على أثر زوبعة شديدة ما عدا واجهتها الضخمة فقد بقيت أثراً خالداً. وترى على قمتها المثلثة صليباً عظيماً من الحديد ماثلاً في الجو كالعقاب وهو يهزأ بهطول الأمطار وقصف الرعود وأعاصير الزوابع مما أثر في السيد جورج باورنج عندما زار ميناء ماكاو في سنة ١٨٢٥- وهو وقتئذ حاكم في الصين- حتى كتب ترنيمته العذبة التي مطلعها:

في صليب الرب فخري عالياً فوق الدهور

كل نور الصليب يبدي مجد وجهه المنير

زال ذكر بنَّائي هذه الكاتدرائية القديمة، أما ذلك الصليب الذي أقاموه تخليداً لذكرى المصلوب فما يزال باقياً.

كذلك بلاد الصين رأت تغييرات هائلة وعفت نظاماتها القديمة وتلت فيها عروش، أما ذلك الصليب فما يزال باقياً.

أجل إنها حائط عظيمة مهدمة على مرتفعة في ثغراتها المخيفة تعشش الطيور ومن أبوابها ونوافذها المشققة ترى بحر الصين وسماءها وجبالها. ولكنك ترى هنالك الصليب يحوّل هذا الخراب إلى جلالٍ ووقارٍ.

وهكذا كان الصليب في جميع البلدان وفي كل العصور. وهذا سر غيرة خدام الرب.

لأنه إذا كان صليب المسيح شيئاً فهو للعقل كل شيء- أعمق حقيقة وأسمى سر- وهنا يتحقق الإنسان أن فيه يرتكز حرفياً كل غنى الإنجيل ومجده. والصليب هو المحور كما أنه هو المركز الذي يدور عليه فكر العهد الجديد. إنه علامة الفكر المسيحي الوحيدة بل هو رمز المسيحية ونجمتها القطبية.

وكلما ازداد الملحدون في إنكار صفته الكفارية وجد المؤمنون فيه المفتاح لأسرار الألم والخطية. ونحن إنما ندرك ذلك التأكيد الرسولي على الصليب عندما نطالع الإنجيل مع غير المؤمنين ونرى أن قوته الجاذبة لا تقاوم.

والفصول التالية إنما هي نتيجة التأمل مدة سنوات عديدة في آلام رب المجد وموته على الصليب وسط قوم ينكرون حقيقة الصليب وضرورة الكفارة والفداء. فإن رسالة الصليب ما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تزال لعقلاء هذا العالم إهانة أو فضيحة أو جهالة ومع ذلك فإن المسيح على الصليب هو الذي سيجذب إليه أخيراً جميع العالمين؛ وتحت ظل الصليب كل راحة وسلام. إن مجد الصليب حقيقي كعاره والتأمل في عاره هو رؤية مجده. إن الصليب هو الذي يفسر الخطية والبر والمحبة، بل هو قوة الله وحكمة الله؛ وظِلُّه أطول ظل في العالم لأنه وقع حتى بزغ فجر القيامة. لقد "أراهم (تلاميذه) يديه وجنبه" فهل أراك ذلك مرة؟ لقد فرح التلاميذ عندما رأوا آثار الجروح في الرب القائم (من الموت) وقال الرسول "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وأنا للعالم".

في "بيت لحم" فـارس	أمـوالـه أحــزان
أجناده بـين الــورى	في الأرض هم حمـلان
مبوقــوه للمــلا	كانوا هم الطيــور
وقصره من خشــب	صليبـه المشــهور
وتاجه قد حاكــه الـ	أشرار من أشــواك
لكن رمزه عـــلا	بل ناطح السمــاك

 All rights reserved © 2008-2018

الفصل الأول: أول كل شيء - "إن المسيح مات"

"كما أنه لا يوجد غير إله واحد فقط كذلك لا يمكن أن يوجد غير إنجيل واحد فقط. وإذا كان الله قد أتم- حقيقة- في المسيح شيئاً يتوقف عليه خلاصُ العالم، وإذا كان الله قد أعلن هذا الشيء فيكون والحالة هذه واجباً مسيحياً أن نرفض أي شيء يتجاهل هذا الأمر أو ينكره. والإنسان الذي يفسده لهو شر عدو لله وللناس جميعاً. ليس سوء الطبع أو التعصب ما يحمل بولس الرسول على استعمال لهجة حادة (في غلاطية١: ٨) بل هي غيرة الله التي أشعلت في نفس فداها موت المسيح غيرة معادلة لأجل المخلص.

جيمس دني (أستاذ اللاهوت)

في كتابه "موت المسيح"

قال بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١٥: ٣ "فإنني سلَّمتُ إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب". إن القارئ المدقق ليلاحظ من سياق الحديث- كما يلاحظ الدكتور موفات بكل تأكيد في ترجمته- إن هذا هو لب رسالة بولس ومركز تعاليمه بل وإنجيله الوحيد. وأنا نرى في ترجمة موفات الآنفة الذكر كلمة إنجيل مكررة أربع مرات لتقرير بيان حقيقة هذا الإنجيل أو البشارة الطيبة، فيقول الرسول أنه تسلمها من الرب ومن الكنيسة الأولى. وبالتالي فإن الكنيسة الأولى كانت تعتقد- كما كان يعتقد بولس الرسول نفسه- بأن الحق الأول والأساسي للمسيحية إنما هو موت المسيح من أجل خطايانا. أن بولس قد تسلَّم هذا الحق وعلّم به في ظرف سبع سنين من حادثة موت المسيح أو في أقل من هذه المدة تبعاً لبعض التواريخ الأخرى.

على أن الكلمة اليونانية المترجمة "في الأول" يمكن أيضاً ترجمتها إلى "قبل الكل" أو في مقدمة كل الحق. ونفس هذه العبارة واردة في الترجمة السبعينية حيث وضع يعقوب الجاريتين وأولادهما أولاً (تك٣٣: ٢).

إن موت المسيح على الصليب كان لدى بولس الرسول في الدرجة الأولى من الأهمية وأعظم وأقوى ركن في قانون إيمانه. إنه الركن الأساسي بل هو مفتاح العقد وحجر الزاوية لهيكل الحق. وتتضح صحة هذا الأمر من المكان الذي يملأه موت المسيح في الكتب والرسائل الرسولية، بل في خدمتي السِّرين كما تكرسهما جميع الكنائس المسيحية وفي الترانيم المسيحية قديمة كانت أم حديثة. فالبراهين على حقيقته كثيرة وعديدة. فليس الصليب هو الرمز العام الوحيد للمسيحية بل هو رسالتها الحقة العامة؛ إنه صميم قلب الإنجيل والكلمة الحادة القوية والأمضى من السيف ذي الحدين لأن لا شيء يبكت على الخطية مثل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الصليب: فيه نستطيع أن نرى "خطايانا الخفية في ضوء وجهه" الذي عيناه كلهيب نار. والآن فانصت إلى الأسقف أندروز وهو يسكب قلبه في عبادته السرية أمام الصليب إذ يقول:

يا منْ سمحتَ لرأسك المجيد أن يجرح

اغفر لذلك كل خطأ بواسطة حواس رأسي

ولكلتا يديك أن تثقبا

كل خطأ صنعته يداي بلمس دنس أو عمل محرم

ولجنبك الثمين أن يطعن

كل خطأ وقعت فيه بواسطة الأفكار الشريرة والشهوات الجسدية

ولقدميك المباركتين أن تُسمَّرا

كل ما عملته بواسطة قدميّ السريعتين إلى الشر

ولكل جسمك أن يُصلب

كل خطية جنيتها بواسطة أي عضوٍ من أعضائي

فإني أنا أيضاً أيها الرب مجروح في الروح

فانظر كثرة وطول وعرض وعمق جراحاتي

وبواسطة جراحك اشف جراحاتي

إن صليب المسيح هو نور الله الكشاف لأنه يعلن محبة الله وخطيئة البشر، قوة الله وعجز البشرية، بل قداسة الله ونجاسة الإنسان. وكما أن المذبح والذبيحة كانا "أول الكل" في العهد القديم فكذلك الصليب والكفارة هما "أول الكل" في العهد الجديد. وكما أنه يمكن مد خط مستقيم من أية نقطة من محيط الدائرة إلى مركزها فكذلك تعاليم العهد القديم والعهد الجديد عن الخلاص في كل محيطها الواسع ومع كل ما تشمله من حياة جديدة وخليقة جديدة بل من سماء جديدة وأرض جديدة ترجع جميعها في خط مستقيم إلى مركز الكل وهو حَمَلُ الله المذبوح قبل تأسيس العالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تأمل الآن في المكان الذي تملأه قصة الصليب في العهد الجديد؛ فهي مذكورة في كل من أسفاره عدا ثلاث رسائل صغيرة وهي الرسالة إلى فليمون والرسالتان الثانية والثالثة من رسائل يوحنا الحبيب. إن الأناجيل الأربعة تخصص لقصة الصليب أكثر مما تخصص لأي مظهر آخر في حياة المسيح أو تعاليمه. فمتى يذكر- (عدا العبارات العديدة التي ينبئ فيها بموت المسيح)- هذه المأساة في فصلين طويلين يحتويان على مائة وواحد وأربعين عدداً، ومرقس يخصص إصحاحين أيضاً هما أطول الإصحاحات في إنجيله المكون من ستة عشر فصلاً، إذ يحتوي هذان الإصحاحان على مائة وتسعة عشر عدداً، ولوقا يخصص أيضاً فصلين يصف فيهما حادثة تسليم رب المجد وصلبه. أما يوحنا الحبيب فإنه يخصص نصف إنجيله تقريباً لوصف أسبوع الآلام.

أما سفر أعمال الرسل فإن كل التبشير الذي فيه يرتكز على موت ربنا وقيامته.

هذه كانت البشارة المفرحة أنه "أراهم... نفسه حياً... بعدما تألم". ونهاية موعظة بطرس الرسول في يوم الخمسين أنَّ يسوع المسيح قد أخذ "... مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة"... (٢: ٢٢) وصُلب وقُتل. "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (٢: ٣٦). كذلك في الهيكل كرر الرسول هذه الرسالة نفسها إذ قال "... أنتم طلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه..." (٣: ١٤و ١٥) مثبتاً ما سبق الله وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح (١٨) ولكنه أقام "فتاه (يسوع) وأرسله يباركك بردّ كل واحد منكم عن شروره" (٢٦). وفي اليوم التالي رجع بطرس الرسول إلى نفس الموضوع قائلاً: يسوع الناصري الذي صلبتموه (٤: ١٠). وفي أول صلاة مذكورة في سفر أعمال الرسل نرى أيضاً الإشارة إلى آلام وموت "فتاك القدوس يسوع" (٤: ٢٧). كما نرى نتيجة هذه الرسالة معبّراً عنها بكلمات لا يحتمل الشكّ تأويلها إذ قال رئيس الكهنة للرسل "... قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان" (٥: ٢٨). أما الرسل فأجابوا أن يسوع الذي قتلتموه معلِّقين إياه على خشبة. هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلِّصاً (٣٠و ٣١).

وختم استفانوس الشهيد دفاعه الرائع متكلماً عن موت المسيح (٧: ١٥- ٥٤). وفيلبس فتح فاه ومن اشعياء ٥٣ تكلم عن موت المسيح إلى الخصي الحبشي وبشَّره بيسوع (٨: ٣٥). وكرنيليوس تسلم نفس الرسالة عن المسيح "الذي قتلوه معلقين إياه على خشبة" هذا أقامه الله في اليوم الثالث (١٠: ٣٩و ٤٠). وبولس الرسول يتكلم في أنطاكية عن يسوع "الذي تألم على يد بيلاطس البنطي وصلب ومات وقبر وفي اليوم الثالث قام من بين الأموات" (١٣: ٢٨). وفي تسالونيكي مكث بولس الرسول يُحاجّ اليهود ثلاثة سبوت من أسفار العهد القديم "أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات" (١٧: ٣)؛ وفي مدينة أثينا بشَّر بموت وقيامة المسيح (٣١)؛ وفي كورنثوس عزم ألاَّ يعرف شيئاً إلا يسوع المسيح وإياه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مصلوباً (١كو٢: ٢)؛ ويستعمل كمرادف لكلمة الإنجيل أو البشارة "كلمة الصليب" (١كو١: ١٨) أو "كلمة المصالحة" (٢كو٥: ١٩). وفستوس الوالي يصف رسالة بولس الرسول بأنها عن "... واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول أنه حي" (أع٢٥: ١٩). وفي دفاعه أمام فستوس يقول بولس الرسول أنه ليس له رسالة يقولها للصغير والكبير إلا ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون، إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادي بنور للشعب وللأمم (أع٢٦: ٢٢و ٢٣).

وفي رسائل بولس الرسول نرتبك لكثرة القرائن ووفرة البراهين الدالّة على أن رسالته الوحيدة كانت الصليب والكفارة. ولقد بشَّر هو مدة خمس عشرة سنة قبل ما كتب أي رسالة منها، ومع ذلك لا نستطيع أن نرى تغييراً في التأكيد في هذا الخصوص بين أولى رسائله وأخرها، بل نرى أن الصليب والكفارة كانا قلب رسالته للرومانيين والتسالونيكيين على السواء؛ ويذكر لكنيسة غلاطية في افتتاح رسالته أن يسوع المسيح قد "بذل نفسه لأجل خطايانا" وبعد بضعة أعداد يحتد قائلاً بغضب: ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم به فليكن أناثيما". أنه لظاهر من جميع رسائل بولس الرسول أن مصدر قوة بشارته هو جبل الجلجثة لا بيت لحم. فالتجسد حدث حتى يتم به الفداء، والصليب هو جليل ولازم لله للإنسان والعالم إذ يقول "ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" "لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا" "من الذي يدين؟ المسيح الذي مات" "نكرز بالمسيح مصلوباً" "... لأن جهالة الله أحكم من الإنسان وضعف الله أقوى من الناس" "كنيسة الله التي اشتراها بدمه"؛ وجميع المسيحيين عندما يشربون الكأس "يذكرون موت الرب إلى أن يجيء" "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وأنا للعالم"؛ ويسوع المسيح هو "المحبوب الذي فيه لنا الفداء بدمه". هذا هو سر الدهور وحكمة الله المتنوعة المعلنة بواسطة الكنيسة للرؤساء والسلاطين. أما أعداء الصليب فيقول عنهم الرسول والدموع ملء عينيه أن مجدهم في خزيهم ونهايتهم الهلاك إذ ينبغي للمسيح أن يكون هو متقدماً في كل شيء (كو١: ١٨) إذ لنا فيه الفداء وبدم صليبه غفران خطايانا. إن ذلك الصليب هو حقاً مركز الإنسانية وتاريخها، وسوف يشهد بمصالحة الكل بواسطة الدم سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات (كو١: ٢٠).

أما في الرسالة إلى العبرانيين فموت المسيح- حالة كونه الكاهن والذبيحة والمذبح- ظاهر جداً حتى لا نحتاج إلى الاستشهاد. فالمسيح هو رئيس الكهنة العظيم الذي "قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه". قدم المسيح هو دم العهد، ويسوع هو رئيس إيماننا ومكمله إذ احتمل الصليب، ودَمُ رَشِّه أفضل من ذبيحة هابيل لأنه دم العهد الأبدي الذي سفكه راعي الخراف العظيم عن الخراف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما رسالتا بطرس الرسول فإنهما صدى بشارته الأولى هي ملأى بالإشارات إلى آلام المسيح "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة... الذي بجلدته شفيتم (١بط٢: ٢٤). وأخيراً في رسالة يوحنا الحبيب الأولى ورؤياه ما نزال نرى الصليب عالياً إذ نرى فيهما يسوع المسيح "كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" و "إن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة" و "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه... له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين" و "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه".

وفي الشّرَّين اللذين قبلتهما كل الكنائس الشرقية والغربية نرى في كليهما إشارة جلية إلى موت المسيح لأجل خطايانا وهذا واضح ليس فقط من الكلمات المذكورة في العهد الجديد الناصة على كيفية تكريسهما بل من الطقوس الكثيرة المستعملة في إقامتهما. وهنا يمكننا أن نقول أن هذين السرين إنما ينصان- في الأول- على موت المسيح الكفاري: فسر العماد هو طقس الدعوة إلى الكنيسة المسيحية ولم يذكر العهد الجديد شيئاً عن مسيحيين غير معمدين. إن أولئك المؤمنين الأولين قد عرفوا معنى قول بولس الرسول عندما قال أن كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمد لموته، إذ كان غفران الخطية وسر المعمودية متحدين في رؤوسهم اتحاد الماء والدم اللذين سالا من جنب المسيح المطعون. وكلا السرين إنما قصد بهما نقل رسالة الإنجيل برموز لا تقبل الشك؛ وما دام هذان السران باقيين في الكنيسة فما يزالان بالرغم عما زيد عليهما من الطقوس وأضيف إليهما من الشروحات شاهدين على معنى موت المسيح المخلص وضرورته وصفته الكفارية. وقد ظلت الكنيسة الأولى مواظبة على "كسر الخبز" إذ أرادت بواسطته إعلان موت المسيح ومغفرة الخطايا بدمه لأنه شركة دم المسيح وجسده (١كو١٠: ١٦) روحاً واحداً (١كو١٢: ١٣) لمغفرة الخطايا (متى٢٦: ٢٨) إذ محا الصك الذي علينا (كو٢: ١٤) يطهر ضمائرنا (عب٩: ١٤). كل هذا جعل كسر الخبز ثميناً للكنيسة الأولى ولعموم الكنائس هذه العشرين قرناً.

وعندما نترك أنظمة الكنيسة وننظر في ترانيمها وألحانها نرى نفس الشهادة. ففي أولى الترانيم اللاتينية واليونانية بل في ترانيم الكنيسة القبطية والأرمنية كما في كنائس الإصلاح نرى أن الصليب هو "أول كل شيء" آلام رب المجد هي التي تلهم المرنمين، بل إنا لنرى في ترانيم الكنيسة وحدة وتعمقاً في اللاهوت قلَّما نجدهما في قوانين الإيمان نفسها.

"مستحق هو الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" و "في وسط العرش حَمَلٌ قائم" كأنه مذبوح" وكل خليقة قائلة البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين".

بل إن الأحداث في أقطار عديدة وبلغات متعددة يذكرون لب الإنجيل عندما يرنمون قائلين:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"حبه حب عجيب　　مات عني بالصليب

سفك الدم الكريم　　معطياً دار النعيم"

وهي نفس الرسالة التي أوحت إلى القديس الكبير برنردوس أن يقول في ترنيمته المشهورة التي مطلعها:

"لو لم يحبني المسيح　　ما كان أشقاني

خلصني ذاك الذبيح　　بدمه القاني

وما أكثر الترانيم التي تصف آلام المسيح أو تفسر ذبيحة الفداء التي تمت على خشبة الصليب- بالنسبة لترانيم الكنيسة كمجموعة- بل ما أكثر المؤمنين الذين وقفوا بجانب الصليب إلى اليوم ورنموا قائلين:

"خلني قرب الصليب　　حيث سال المجرى

من دم الفادي الحبيب　　داء نفسي يبرا

وإنها لتخطر في أذهاننا بالتتابع هذه الترانيم التي يرنمها ملايين المسيحيين في جميع أقطار العالم مثل:

كما أنا آتي إلى　　فادي الورى مستعجلاً

إذ قلت نحوي اقبلا　　يا حمل الله الوديع

"حين أرى صليب من　　قضى فحاز الانتصار

ربحي أرى خسارةً　　وكل مجد الكون عار

"ينبوع جود من دم ذاك جرى　　أنقى حميم من غطس

من جسم فادينا الذي أحيا　　فيه جلا عنه الدنس"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA　All rights reserved © 2008-2018　info@arabicbible.com

الورى

"أيها الفادي الغفور ملجأي صخر الدهور

امحُ اثمي يا رحيم أنت عون للأثيم

طهرني بدماك يا مجيباً من دعاك"

وترانيم كثيرة غيرها- معروفة كلها- تجعل موت المسيح هو الموضوع العظيم مثل:

"كنت مديون العلي خالق الكل

فقضى ديني الذي مات من أجلي

"لا يمكن المياه أن تغسل الوضر

لكن دماء ابن الإله تطهّر البشرْ"

لا عجب فمن منا لا يقول:

ليس شيء في يديْغير قربي للصليبْ

به ألقى نعمــةً ورجائي في الحبيبْ

عارياً هبني الكساءْ يائساً هبني النصيبْ

دنساً هبني النقاء طهرّني أو أخيبْ

لو كان يسوع الناصري مجرد إنسان ولم يكن ما هو في الحقيقة أي كلمة الله ومخلصنا فمع ذلك فإن مأساة موته تبقى أعظم حادثة في تاريخ البشرية؛ فإن تعدّد وصف هذه المأساة في كتابات معاصريه وذكر آلامه وصلبه، بل إن الحوادث المريعة التي رافقت موته في عالم الطبيعة وكلماته السبع التي فاه بها على الصليب وتأثير كل ذلك في من رأوه وسمعوا صوته وفي جميع العصور وجميع الشعوب تثبت بجلاء أهميتها العامة ومركزها العالمي. ونحن لا ينبغي لنا أن نقلل من أهميتها. فإن أهم حادثة في حياة المسيح بل أهم حادثة في نظر المسيح نفسه هي موته على الصليب من أجل الخطية. ولا مبالغة في قول الأستاذ جيمس دني عندما يقول:

"إذا كان الفداء- مجرداً عن تعاريفه الدقيقة- شيئاً فهو كل شيء. إنه أعمق الحق وأكثر ما فيه ابتكاراً. إنه يحدد- أكثر من كل شيء آخر- إدراكنا ماهية الله وحقيقة البشرية بل معنى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التاريخ وحقيقة الطبيعة. إنه يحددها جميعاً إذ ينبغي لنا أن نوفق بينها وبينه- إنه مصدر الإلهام للفكر بل هو المفتاح في آخر لحظة لجميع الآلام. إن الفداء لحقيقة لا تقبل التجزئة؛ ولذلك فعلى هذه النقطة- في عصر التمدن كما كان في العصور الخوالي- ترتكز جاذبية المسيحية أو رفضها. والصليب ما زال مجد الإنسان الوحيد أو حجر عثرته الأخير".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني: "نحن لم نتبع خرافات مصنعة"

إن الديانة المسيحية هي مسألة عملية للحياة لا مجرد معرفة عقلية، و "البار بالإيمان يحيا"، ومع ذلك فإنه لمن الأهمية بمكان البرهنة على حقيقة ظروفها. وهنا ينبغي للمرء أن يذكر أن المسيحية لم تنشأ على كذبة. إننا نستطيع أن نبرهن ذلك كما نؤمن به فإن الأسباب التي تعرضها لأمر منشأها قابلة للفحص طبق مبادئ التاريخ المسلم بها، كما قد تبرهنت حقيقة معظم هذه الأسباب بواسطة التقدم في مضمار الاكتشافات الأثرية. وعدا ذلك فلا يزال مجال العمل واسعاً والبراهين ما تزال متوفرة إذا ما ثابرنا على الفحص وبحثنا عن هذه القرائن"

السير وليم رمزي

في كتابه "الاكتشافات الحديثة وصحة وقائع العهد الجديد"

إن الذين يؤمنون بما أوحى به الله في البشائر الأربعة عن ابنه لا يشكون في صحة الحقائق الواردة فيها لأن الروح القدس يشهد لهم بحقيقة وقوعها؛ وهم يعرفون مع بطرس الرسول إن كل الحوادث الواردة عن آلام السيد وموته وقيامته المجيدة ليست "خرافات مصنعة" بل حقائق واقعة. فبطرس الرسول كان شاهد عيان لآلام المسيح، ومرقس البشير كان تلميذاً له (لبطرس)، ويوحنا الحبيب يقول بما سمع بأذنيه ورأى بعينيه ولمس بيديه (١يوحنا١: ١)، ومتَّى كان أحد الرسل الإثني عشر، ولوقا يقرر كيف بحث بتدقيق "ممن كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة" ليكتب في هذه "الأمور المتيقنة عندنا" "لتعرف صحة الكلام".

ولكن في عصر الارتياب هذا والانتقاد التاريخي ينبغي لنا أن نواجه أولئك الذين ينكرون وقائع الإنجيل وصحتها. فبعضهم يخبرنا أن يسوع المسيح إنما هو شخص خرافي (كذا)، وترجمة حياته إنما هي "خرافات مصنعة" ترجع أصولها إلى ما ينافسها من خرافات الرومان واليونان والمصريين الأولى. وقد أنكر الغنسطيون الأولون قديماً وقوع موت المسيح لأسباب مذهبية. ويعتقد البعض منهم أن يهوذا الأسخريوطي هو الذي احتمل العقاب وأن الله أنقذ المسيح من هذا الموت الفظيع بأن شبه له.

أما نظرية ستروس الملحد وغيره من جماعة العقليين بأن جسد المسيح قد أنزل من على الصليب قبل حدوث الموت ثم أنعشته الأطياب في القبر، فقد قبلها بعض الناس العصريين.

ما شــهدناك عيــاناً   ربــنا فوق الصليبْ

وســط أعداء غلاظ   سـمروك يا حبيـب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو سمعناك تنادي بصراخك المذيب

لا تجازهم إلهي أُعفُ عنهم يا مجيب

غير أننا نقول بالصليب للأنام

إذ له شقت صخور والدّنا صارت ظلام

ولكن لماذا نؤمن بهذا؟ ينبغي للإيمان أن يكون مدعوماً بالدليل والبرهان، وهنا البراهين عديدة. إنه لما يقوي إيماننا أن ندرس هذه الحقيقة. أن موت المسيح على الصليب لم يكن شيئاً غير منتظر بل قد سبق وأنبئ بوقوعه بوضوح في النبوات. لا حاجة لذكر آلام فتى يهوه الواردة في اشعياء؛ لا حاجة إلى ذكر مزمور المسيا العظيم الذي يصف موت المسيح أو إلى ذكر تفاصيل تسليمه وموته الواردة في النبوات الأخرى- فكل هذه معلومة لدارسي الكتاب المقدس إذ قد رمت هذه الحادثة الجليلة ظلال وقوعها قبل ذلك بقرون. ويوحنا المعمدان بقوله "هوذا حمل الله" إنما لخص كل معنى تعاليم العهد القديم إنه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" وأنّ حمل الله يجب أن يذبح لأجل خطية العالم. وإننا لنفقد مفتاح العهد القديم عندما ننكر أن "المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب" بل نفقد المفتاح لسر الذبائح الدموية كفارةً عن الخطية بين كل شعب وفي كل عصر. نقرأ في نبوءة اشعياء "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا وبحبره شفينا".

لم تكن حادثة موت المسيح على الصليب مأساة غير منتظرة من المسيح نفسه ولا خيبة لآماله أو مانعاً لأمانيه بل على النقيض من ذلك كان هو ذاته يعلم بتلك الساعة ويترقبها وطالما أكد حقيقة وقوع هذه الحادثة المريعة. كان من بدء خدمته يرى ظلها القريب؛ حتى جعل قانون التلمذة له حملَ الصليب. وفي عماده حسب الذي لم يعرف خطية نفسه مع الأثمة وبعد إعلان مسحته و "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي له أن يذهب إلى أورشليم ويقتل" و "ابن الإنسان سوف يسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم". بل إن الشهور الأخيرة من حياة المسيح على الأرض لتمتاز- حسب نص الأناجيل- بتعمده ومحاولته ثلاث مرات أن يعلم تلاميذه البطيئي الفهم عن يقينية موته الأليم العتيد وأهميته.

إن تفاصيل حادثة الصلب التي يذكرها أولئك الذين- في بعض الأحايين كانوا شهود عيان- لا تترك مجالاً للشك في حقيقة وقوع الموت. إنهم ليشهدون بصحة وقوعها بأشد عبارة كأنهم كانوا ينتظرون وقوع الشك في حقيقتها في المستقبل. فمرقس البشير يقول: فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله" (مر١٥: ٣٧و ٣٩). ويوحنا الحبيب يصف كيف أن "واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء" ثم يقول "والذي عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم به". وليست هذه كلمات رجل ساذج أو مخدوع فإن قائد المئة قد أبلغ بيلاطس رسمياً مقرراً موت المسيح (مر١٥: ١٤)؛ ويوسف الرامي أخذ المسيح الميت وكفنه بالكتان ووضعه في القبر؛ وكانت مريم المجدلية ومريم أم يسوع تنظرانه. ليس بين كتَّاب العهد الجديد فرد ألا ويقرر وقوع موت المسيح، كما أنه ليس في ثنايا سفر أعمال الرسل صوت قد ارتفع بالشك في صلب المسيح. أجل لم يُسمع مثل هذا الصوت إلاَّ بعد مضي عدة عصور فجرؤ البعض على أن يشكوا في هذه الحقيقة التاريخية ويعلّموا الناس "خرافات مصنعة". ولكن العلاَّمة الحاخام كلوزنر وهو عالم يهودي عصري قرر في كتابه الأخير عن يسوع الناصري- بعد انتقاد مر لوثائق هذه المأساة- أن الأناجيل هي سجلات معتمدة، وأن يسوع الناصري قد عاش ومات وفاقاً لنصها.

كذلك جمع صموئيل ستوكس منذ بضع سنين الوثائق اليهودية والوثنية الدالّة على صحة التآليف المسيحية[١]. وربما يوجد أناس يصدقون أقوال بليني وتاسيتوس ولوسيان ويوسيفوس وحتى كلسوس لأنهم- وإن كانوا غرباء جميعاً عن المسيحية- يؤيدون الإنجيل الذي فيه يشكون. فتاسيتوس[٢]يقول في كلامه عن حريق رومة في سنة ٦٤م وعن الوسائل التي استعملها نيرون ليزيل عن نفسه شبهة إحراق المدينة أنه لكي ينجح في (كتم) هذه الإشاعة حبس في قصره أولئك الناس المكروهين لدى العامة لجرائمهم السرية كمجرمين وعاقبهم بجميع ضروب العذابات الوحشية فقال: "أما أولئك الناس فكانوا يلقبون أنفسهم بالمسيحيين نسبةً إلى شخص اسمه المسيح كان قد حكم عليه الوالي بيلاطس البنطي بالقتل في عهد طيباريوس قيصر. فتوقف سريان خرافات المسيحيين الوبائية في جسم الإمبراطورية مدة من الزمن ثم عادت فانتشرت ليس في اليهودية فقط حيث نبع هذا الشر بل في روما نفسها حيث تلتقي جميع أنواع العار وضروب القتل والجرائم وتصير عادية. ففي الأول كان يلقي القبض على البعض ويكرهون على الاعتراف، وبإقرار هؤلاء كان يلقي القبض على أناس كثيرين ويحكم عليهم لأجل عدائهم للجنس البشري أكثر من كونهم قد تعمدوا إحراق المدينة ليس بالإعدام فقط بل بالقتل مع صنوف العار والهوان. وكانوا يلبسون جلود الوحوش ويتركون لافتراس الكلاب المجوّعة أو يعلقون على صلبان أشعلت فيها النيران ومتى زال نور النهار يحرقون كمشاعل تنير دجى الظلام" (كذا) ويقول لوسيان الذي ولد في ساموسطا في سنة ١٠٠م[٣]في إحدى كتاباته المسماة "موت بيريجرنيوت" ما يأتي: "أن المسيحيين لا يزالون يعبدون ذلك الرجل العظيم الذي صلب في فلسطين لأنه أدخل إلى العالم هذه الديانة الجديدة... وأن هؤلاء المفتونين قد أقنعوا نفوسهم بأنهم لن يموتوا بل يخلدون إلى الأبد. ولهذا السبب تراهم يستخفون بالموت وكثيرون منهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسلمون أنفسهم طواعية واختياراً، كذلك فإن مشرعهم الأول قد علمهم أنهم جميعاً أخوة الواحد للآخر حالما ينبذون آلهة اليونان ويعبدون ذلك الصوفي المصلوب ويعيشون حسب شريعته".

إن تاريخ يوسيفوس في أحوال كثيرة يدعم ترتيب الإنجيل التاريخي. فإن "هيرودس الكبير وأرخيلاوس ابنه وهيرودس انتيباس وهيروديا وابنتها سالومي ويوحنا المعمدان وحنان وقيافا وبيلاطس البنطي وفيلكس الوالي وزوجته اليهودية دروسلاً وفستوس وهيرودس اغريباس وبرنيكا والفريسيين والصدوقيين جميع هؤلاء يظهرون في تاريخ يوسيفوس في نفس العلاقات الواحد للآخر التي نقرأ عنها في كتابات العهد الجديد.

أما كلسوس الأبيقوري فكان من ألد أعداء المسيحية حوالي سنة ١٧٠م. ولذا فهو يشير باستهزاء في كتابه المسمى (البحث الحقيقي)- كما ورد في دفاع أوريجانوس- إلى آلام المسيح بقوله: "يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس" ويتكلم عن الذين صلبوه بقوله: "أولئك الذين صلبوا إلهكم" ويهاجم الاعتقاد المسيحي القائل أن المسيح "احتمل هذه الآلام لأجل خير البشرية" ويشير إلى الملائكة الذين ظهروا عند قبر يسوع ويتكلم عن الملاك الذي دحرج الحجر عن باب القبر، ويحاول أن يظهر جهالة اعتقاد المسيحيين بقيامة الجسد ويضحك على قول المسيحيين: "صلب العالم لي وأنا للعالم". فهذه الشهادة لموت وقيامة الرب من أحد أعداء الإنجيل لها أهميتها الخطيرة.

وهنا لا نستطيع أن نختم هذا الفصل إلا بالقول أنه إذا كان ثمة من دليل على حادثة في التاريخ البشري فإن هذا الدليل هو على حادثة صلب يسوع المسيح. وفوق ذلك فإن لنا برهاناً قوياً آخر في ممارسة خدمة العشاء الرباني وحفظ يوم الرب، فإن كسر الخبز وشرب الكأس يرجعان بنا إلى الليلة التي أسلم فيها السيد؛ وأن ممارستها العامة في جميع الكنائس المسيحية، على الرغم من الاختلافات في أنظمة الطقوس وشروحات الخدمة، لبرهان ضمني على موت المسيح. وممارسة هذه الفريضة بكيفية دائمة هي نوع من البرهان التاريخي الذي لا يمكن نقضه.

لقد قال السيد المسيح أنه "رب السبت أيضاً" وأثبت هذه الحقيقة بواسطة كنيسته إذ بدأت تحفظ- بعد موته وقيامته حالاً- اليوم الأول من الأسبوع بدلاً من اليوم اليهودي السابع. وهكذا فإن يوم الرب نفسه هو برهان على موت المسيح وقيامته.

إن لكلٍ من الأديان الكبرى شاراتها الخاصة بها كالنجم لليهود وزهر البشنين للبوذيين، أما المسيحية فشارتها الخاصة هي الصليب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن كيف صار هذا الصليب رمز الشرف والشهامة بل الرحمة والرجاء بعد أن كان علامة للانحطاط والاستهزاء بل للعار والجريمة وألم اليأس؟ لا جواب عن ذلك إلا بقبولنا هذه الحقيقة أن المسيح قد تعلق ومات على خشبة الصليب وافتدانا من لعنته.

وأخيراً إذا كان يوجد بعد كل ما تقدم من لا يزال في شك بتاريخية هذه الحقيقة الجوهرية لتعاليم العهد الجديد فلنا شاهد قوي في سراديب المسيحيين الأولين وقبورهم إذ نرى هنالك الأحجار الصماء تصرخ قائلة: أن المسيح قد مات.

بل أعجب من كل ذلك ما أخبرنا به أمرسون الفيلسوف الأمريكاني المشهور عن كارليل الكاتب الإنكليزي القدير أنه قال وهو يشير بسبابته إلى كنيسة بلدته في اسكوتلاندا لدى أول مقابلة لهما: "لقد مات المسيح على الصليب- فبنيت هذه الكنيسة- فالتقينا معاً. فالصليب هو محور الأزمة؛ وهذه تقاس قيمتها بالنسبة إلى بعدها عن ذلك المحور أو قربها منه".

وبعد فهل نحتاج إلى براهين أخرى لإيماننا. إن غرور الإلحاد لم يستطع أن يسير إلى أبعد من تلك النظريات التي قدمها لإنكار تاريخية التعليم المسيحي على حياة ربنا يسوع المسيح وموته وقيامته. ولكن المسيح مات وقام حسب الكتب؛ وقد أنبأ الأنبياء بموته وسجَّل الرسول مأساة صلبه، بل إن الكتاب المقدس بجملته يتجه نحو الفداء، وكل أسفاره تشهد لمخلص أُميتَ ورب أقيم. إنّ لبّ بشارة الكتاب المقدس هو الجواب عن السؤال الذي سبق أيوب فسأله مرتين- كيف يتبرر الإنسان عند الله؟ والجواب- بواسطة موت المسيح الكفاري فقط. ليس من طريق آخر ولا من إنجيل آخر. فإذا كان إيماننا هذا خطأ كانت مسيحيتنا بجملتها باطلة لأن البشارة الوحيدة التي لنا هي أن المسيح قد مات من أجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا. نعم، وإن كنا

ما وقفنا عند قبرك أو سألنا من ملاك

أين أنت يا يسوع هل نقلت من عداك

ما جلسنا في رواق أو شهدنا رفقاك

يرفعون الطرف لما جئت ترقى للسماك

غير أننا نقول بالصليب للأنام

إذ لنا الأملاك قالت "هللويا الرب قام"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

[١] -انظر كتاب شهادة قدماء الوثنيين لصحة كتاب لله الثمين.

[٢] -"مؤرخ مشهور ومن أفصح خطباء الرومان، ولد نحو سنة ٥٥م.

[٣] -هو أحد أعاظم مؤلفي اليونان وأشدهم حذقاً وأصالة رأي. ولا عجل فهو سامي الجنس لا التربية، روماني التبعة لا الوطنية، يوناني اللغة لا المولد وقد أحاطت به ظروف مكنته إلى حد كبير من أن يتحرر من كل قيد وعلاقة بل من أي حائل جنسي كما ساعدته أسفاره العديدة على غزارة مادته ومطالعاته الكثيرة على الاستشهاد بكتب القدماء لإيضاح عباراته أو إثباتها. وكان يرمي في كتاباته على ما يظهر- وهي عبارة عن محاورات كتبها بلغة يونانية فصحى تناول فيها مختلف المواضيع وأساطير القدماء والفلسفة والتاريخ- إلى رد الناس عن معاصيهم وخرافاتهم وتقليل إعجابهم بمهازل المتحذلقين وسفسطة المتفلسفين بلهجة انتقادية هجائية مضحكة. على أن بعضها كان ضد الدين والآداب على خط مستقيم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث: "ويغطّون وجهه"

(لو٢٢: ٦٤ ومرقس١٤: ٦٥ ومت٢٦: ٦٨)

"بعرقك الدامي المتجمد وروحك المتألمة

برأسك المكلل بالأشواك وقد هرسه القنى

بعينيك المتدفقتين بالدموع وأذنيك الممتلئتين بالسباب

بفمك المبلل بالخل والمر ووجهك الملطخ بالبصاق

برقبتك المنحنية من حمل الصليب وظهرك المحروث بجراح

الجلد وعذابات السياط

بيديك المثقوبتين وقدميك

بصرختك الحادة ايلي ايلي وقلبك المطعون بالحربة

بالدم والماء الجاريين من جنبك

بجسمك المكسور ودمك المسفوك

اغفر سيدي آثام عبدك واستر جميع خطاياه"

الأسقف لانسيلوت أندروز

إن آلام المسيح من الوجهة التاريخية قد انتهت كلية فقد مات مرة واحدة عن الخطية ولن يموت ثانية إذ "لا يسود عليه الموت بعد". أما من الوجهة المجازية فإن آلامه باقية أبداً: إن حدوثها يتكرر دائماً في البشرية من هذه الوجهة المجازية، فنحن نصلبه ثانية، ويسوع المسيح إنما يُسلم كل يوم ويترك، ينكر ويغطى وجهه ويبصق عليه ويلكم ويستهزأ به ويجلد ثم يصلب.

إن كل حادثة في قصة آلامه رمزية. ومن الوجهة المجازية الروحية بوسعنا أن نقول أننا كنا نحن موجودين معه عندما مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وعلى هذا يقول بولس الرسول "مع المسيح صلبت". وهنا صدق الشاعر هوراتيوس بونار عندما قال على لسان كل واحد منا:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حقاً لقد سلّمت ر ب المجد للفجـارْ

ودمه أهدرتــه فوق صليب العار

وبين من جاءوا أنا هزأت بالمسيـحْ

وبيدي سمرتــه فزدته تجريــح

وبلساني خنت من أحيا الورى بالعطف

مشاركاً من وقفوا يغضون الطـرف

وإذ علا صراخهم صوتي علا الجميع

بالقول ذا مشاغب يضلل الجمـوع

في غفلتي هزأت بالْفادي مسيح الله

إذ قلت انزل أرنا إن كنت ابن الله

وعندما قال كملْ مسلماً للـروح

طعنته بحربــة فازدادت الجروح

"والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ: من هو الذي ضربك؟ "فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ. وكان الخدام يلطمونه".

إن نوابغ المصورين قد صوروا تقريباً كل حادثة جرت للمسيح في أسبوع الآلام عدا هذه. ومع ذلك فإن المنظر فريد جداً ومؤثر للغاية حتى أن الإنسان ليعجب كيف فات هؤلاء الفنانين محاولة رسم صورته بريشتهم لإظهار معناه العميق الخالد. لقد وقع هذا المنظر في داخل دار قيافا قبل الفجر. وكان نور القمر الكامل يفيض على المكان والنيران التي أوقدت في العراء كانت ترمي أضواءها وظلالها على داخل الدار؛ وكان المسيح المغطى الوجه جالساً وسط جماعة ملؤها البغض الأعمى.

ربما كان خدام السنهدريم وحاشية رئيس الكهنة وكل الباقين يهوداً من جنس المسيح. وربما كانوا يعرفونه وقد سمعوا تعاليمه وشهدوا عجائبه وقد "رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض" وهو في البستان؛ أما الآن فإنهم "يغطون وجهه" ويستهزئون به. فأية ظلمة غطت هذه القلوب التي استطاعت أن تعمل مثل هذا العمل أو تحتمل رؤية عمله؟ أي فقدان كامل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للشعور بالحق والمحبة؟ أي عمى لجمال القداسة؟ أية عقول ساقطة، بل أية ضمائر غليظة؟ وهذا إنما فعلوه بيسوع الناصري الذي فتح عيني الشاب الذي ولد أعمى. أجل غطوا وجهه. فهل ما خس معهم وهل اشترك معهم قيافا في فعلهم؟ هل رأى بطرس شيئاً من هذا المنظر المفجع قبلما خرج إلى خارج وبكى بكاء مراً؟ لقد كتب بعد ذلك عن هذه الليلة المريعة عندما "كان واقفاً يصطلي"- (وروحه ترتعش)- قائلاً" "فإن المسيح... تألم... الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه غش الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل... الذي بجلدته شفيتم". أجل لقد رأى بطرس هذا المنظر المؤلم ولو عن بعد فكسر قلبه العار والألم وكانت نظرة المسيح الأخيرة- قبل أن يغطي وجهه- على بطرس إذ أنكره هو أيضاً أمام هؤلاء الخدام.

ومهما كان وصف هذه الحادثة قصيراً فإننا نستطيع أن نقرأ بين السطور جبن هؤلاء القوم وظلمهم بل ومرارة حقدهم على المخلص. ولماذا افتكروا في تغطية وجه يسوع؟ أليس لأن عينيه كانتا مملوءتين بالتعجب المقدس من عدم إيمانهم وبالعطف على حماقتهم وخطيتهم، وفي الوقت نفسه كانتا تسطعان بهذا النور الذي جعل ضمائرهم تتلظى كلهيب نار؟ لم يستطيعوا أن ينظروا إلى وجهه ولذا كما يقول مرقس البشير- فإنه عندما "ابتدأ قوم يبصقون عليه" غطى آخرون وجهه وبدأوا يلكمونه. إنما جبنهم كان معادلاً لبغضهم فلطموه وهزأوا به "وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدفين". بغضهم له كان غير معقول فقد طلبوا برهاناً دون ما حاجة إلى برهان وظنوا أنهم يحطون النبوءة إلى دركة قراءة الأفكار وبواسطة اللكمات يجعلون المسيح يشير إلى خطية فردية وكلهم في التجديف مجرمون "تنبأ من هو الذي ضربك؟" إن الذي ضرب يسوع ليس فرداً واحداً وإنما هو الجنس البشري أجمع. كان مصاباً ومضروباً من الله فسترنا عنه وجوهنا، وعندما لم نستطع نحن ستر وجوهنا عنه سترنا وجهه وغطيناه. إن كل جبن العصور في الكفر والإلحاد قد تمثل في هذه الحادثة، فبعض الناس كانوا خائفين دائماً وبالتالي غير راضين أن ينظروا إلى وجه المسيح، ويحاول البعض الآخر أن يهربوا من المسيح في التاريخ بإعلانهم أن قصته خرافة، أو يرفضون أن ينظروا إلى المسيح وجهاً لوجه. وكم من كتب تاريخية مقبولة أو كتب مدرسية متداولة قد غطت وجه يسوع بجملة اعتذارية لا تليق بالمقام.

والإلحاد إنما يغطي الكتاب المقدس بإقفال جلدتيه ومنع رسالته من وصولها إلى الشباب أو تركه- على الرف- ككتاب ثمين يتكلم عنه كل إنسان ولا يقرأه أحد. والناس طالما غطوا وجه المسيح على منابر الوعظ أو في الكنائس ثم هزأوا برتبة كهنوته ومجد ملكوته. وعندما يغطي الإلحاد وجه المخلص يضربه على وجهه ففولتير ونيتشه وريتان وغيرهم ممن هم على شاكلتهم في العقل والقلب لا في الشهرة- جميعهم اتفقوا على أن يغطوا وجه يسوع المسيح أولاً ثم ينكروا لاهوته ويستروا وجهه ثم يلطموا مجده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن بلدة "تجوير" مسقط رأس رينان هي بلدة صغيرة مبنية على رابية عالية تطل على نهر الجودي بفرنسا. وهي مشهورة بأديرتها القديمة وتديّن أهلها. يرى المسافر على مينائها نصباً عالياً عليه ثلاثة صلبان ضخمة كتب عليها قاعدة أوسطها هذه الجملة بثلاث لغات: "حقاً كان هذا ابن الله". وقد أقيم هذا النصب اعتراضاً على تشريف رينان بإقامة تمثاله في ساحة كاتدرائية مسقط رأسه.

إن قراءة وصف الإنجيل عن حادثة تغطية وجه المسيح هذه لأمر مؤلم، ولكنه أكثر إيلاماً أن نرى الناس قد غطوا وجهه مراراً وتكراراً مدة هذه العشرين قرناً ثم هزأوا به. وهل آلم للنفس بل أشد إلحاداً من الكلمات التالية لنيتشه: إن الإنجيل مات على الصليب وما سمي بالإنجيل بعد ذلك إنما هو عكس الإنجيل الذي عاشه المسيح. فهو ليس بشارة مفرحة بل خبر سيئ، ليس إنجيلاً بل عكس الإنجيل". ومع أن نيتشه يتساهل أحياناً في كتاباته عن المسيح وقلَّما يرمي مطاعنه ضد من يسميه "المؤسس لإحدى الشيع اليهودية الصغيرة" فهو يكره اسم النصرانية ويبغض بولس الرسول كشارح لإنجيلنا.

إن البغض الناشئ عن عدم الإيمان ظاهر اليوم كما كان في محكمة قيافا. إن الناس لا يستطيعون أن يضبطوا تيار أفكارهم عن المسيح أن وجهه يلفت النظر وعينيه كلهيب نار فهو إما يجذب الآن أو يدافع كما فعل في الماضي.

أهذا هو الوجه الذي من جلاله

تخرّ له الأجناد في العرش سجدا؟

فهذا إكليل قد تشوه بالقنا

وليست به روح تشع لنا الهدى؟

فكيف نراه مظهر الحب للورى

وكيف يميننا بحب تأيدا؟

وكيف يُرضي خالقاً خُنّا عهده

ويرضي له عدلا من البدء سرمدا؟

أجل! إنه الوجه الذي أكمل الفدى

بأن ذاق عاراً بل صليباً من العدى؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن قديسي العهد القديم اشتهوا أن يروا مجد الله في وجه مسيحه. فقد طلب موسى من الله قائلاً "أرني مجدك" "وأن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا". وقال داود مراراً "إلى متى تحجب وجهك عني؟ وأضئ بوجهك على عبدك" و "لا ترد عني وجه مسيحك لا تحجب وجهك عني أو أصير كالهابطين في الجب". ولما رأى اشعياء مجده وتكلم عن آلامه تنبأ بمأساة هذا اليوم الرهيب قائلاً: "بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق" "رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا. محتقر" و "لكن آثامكم فصلت بينكم وبين إلهكم وخطاياكم حجبت وجهه عنكم". لقد غطوا وجهه حتى تتم الكلمة التي أنبأ بها اشعياء قائلاً: "من هو أعمى إلا عبدي وأصم كرسولي الذي أرسلته؟ من هو أعمى كالكامل وأعمى كعبد الرب".

إنا عندما نتأمل في هذه الكلمات نبتدئ أن نتحقق مقدار ما وقع على يسوع من التأثير عندما غطى وجهه. وهكذا اختبر على حساب نفسه وفي نفسه كل غباوة وعمى الإلحاد العمدي لله ورسله. إن ريبة الإلحاد ليست بنت أمس- فإن الناس من بدء التاريخ إلى اليوم يطلبون الآيات من الذين يشهدون لله. فإذا قال لهم أحد الأنبياء آمنوا بالله. سألوا أين آياته؟ وأية عجائب عمل؟ لماذا نصدق قوله؟ متى تمت نبواته؟ كما قال اشعياء: "من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟"

إننا كثيراً ما نحول وجوهنا عن المسيح أو نغطي وجهه ونبقى غير مقتنعين بخطايانا وغير مبكتين عليها. إن خدام رئيس الكهنة لم يروا شيئاً؛ أما بطرس فقد جرحت ضميره نظرة واحدة واستطاع أن يندم لأنه لم يُغَطِّ وجه المسيح، وهكذا الحال دائماً. وما أحسن ما كتب جرمي تايلور في موعظته عن إيمان وصبر القديسين إذ قال:

"إن المسيح لم يمت موتاً فجائياً ولا مات مرة واحدة بل كان حمل الله المذبوح قبل تأسيس العالم: قُتل في هابيل ولطمه الغمر في الفلك مع نوح، هو الذي خرج من عشيرته عندما دعي إبراهيم من حاران وتغرب عن أرضه، هو الذي قُدِّم في اسحق واضطهد في يعقوب وبيع في يوسف وأُهين في موسى، وأعمي في شمشون ونشر في اشعياء وطرح في الجب مع ارميا لأن جميع هؤلاء كانوا رموزاً عن المسيح المتألم. ثم استمرت آلامه بعد قيامته لأنه هو الذي يتألم في جميع أعضائه (المؤمنين به)، إنه هو الذي يحتمل مقاومة جميع الخطاة، إنه هو رئيس الحياة الذي يصلب ثانية ويشهَّر في جميع آلام عبيده وخطايا العاصين عليه وتعييرات المرتدين عنه والكافرين به، في قساوة الظالمين وظلم السالبين بل في الاضطهادات التي تقع على كنيسته. إنه هو الذي رجم في الشهيد استفانوس وسلخ جلده في القديس برثولماوس، هو الذي شوي على مشواة القديس لورنس وقدم إلى الأسود في القديس اغناتيوس وأحرق في القديس بوليكاربوس وتجمد جسده في جليد البحيرة حيث

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقف شهداء كبدوكية الأربعون. لأن سر موت المسيح لا يتم إلا بالاشتراك في جميع آلام البشرية وأحزانها.

فلا نعجب إذا غطى الناس وجه مخلصنا في هذه الأيام ولكموه أو شهروه.

إن كل ديانة جديدة أو فلسفة تبعد الناس عن الإنجيل لا تستطيع أن تقوم إلا بتغطية وجه يسوع، فإن الذين ينظرون في عينيه لا يحتاجون إلى نور آخر، والذين رأوا وجهه لا يتبعون قائداً آخر. "ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع. لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح".

إن الذين يسيرون في الظلام بعقول عمياء هم في الغالب الذين أطفأوا النور بتغطية وجه مسيح الله أولاً. ومهما يكن معنى "إله هذا الدهر" فإنه يشمل بكل تأكيد قوة الشرير الذي يمنع الناس عن أن يروا مجد مخلصنا وتلك هي روح العصور التي تشمل مثل هذه الآراء المنتشرة والمبادئ العالمية والنظريات الطريفة والشهوات الجسدية والأغراض التي تفيض في أي وقت حتى تنشر جواً من الشك والإلحاد يخنق كل إيمان- إن العمى يتقدم الكفر وهو سببه وأساسه والعمى إنما يتم بستر وجه الإنجيل وإبهام كلمة الله الواضحة وإغماض عيوننا عن رؤية الحق.

يقول المسيح "لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون".

تأمل ثانية في هذه الصورة المحزنة للمسيح المغطى الوجه وهو واقف في وسط جماعة أشرار السنهدريم. أمعن نظرك في ذلك الوجه المضيء بنور شمس الصباح الباكر والألوهية المسجونة وهو يسيل دماً ويلكم ويغطي. قال المرنم: "انظر إلى وجه مسيحك"، وهنا نرى ذلك الوجه مثالاً حقيقياً للمخلص المتألم- "هوذا الإنسان" مربوطاً ومنهوكاً مهاناً ومجروحاً، ومع ذلك فهو صامت بصمت المحبة المتألمة- "تنبأ من هو الذي ضربك" والجواب ينبغي لنا أن نلقاه في ضمائرنا

أنِر إلهي دمس ليلٍ ولسكناك القلوب

نقها من كل رجس وأزِل منها الذنوب

وألقِ عنا كل ثقل واهدنا حتى نتوب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن المسيح ما تألم ليفدينا من الخطية ولعنتها فقط ولكنه تألم ليترك لنا مثالاً حتى نتبع خطواته. ففي كل حادثة من حوادث الآلام نرى حامل صليب العالم العظيم يصرخ في آذاننا دائماً قائلاً: اتبعوني عيشوا بشجاعة وجرأة دون أي اعتراض أو مقاومة، اقبلوا الطين والوحل والحرارة والبؤس والمقاومة المؤلمة والتوبيخ اللاذع، اسكتوا أمام مضطهديكم، اصبروا ثابروا لأجلي ولأجل الإنجيل، لا ترفضوا أن تشربوا معي كأس الفشل وإن كان في الغالب أشد مرارة من كأس الموت، فإنه ألم الهزء والهوان الذي يسبق ألم الصليب. وإننا عندما نذكر محكمة قيافا ويسوع المغطى الوجه الذي احتمل مقاومة الخطاة لا نفشل ولا يُغشى علينا من التوبيخ أو السخرية والعار "طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم".

إن هذه آخر وأعظم التطويبات السبع، إنها تطويبة الذين يتبعون المسيح طوال الطريق إلى النهاية من جثسيماني إلى الجباثة ثم إلى الجلجثة.

لا ربح في الدنيا بغير خسار

أو من خلاص دون صلب الفادي

فالحب لا ينمو ويزهو مثمراً

حتى ترى موت البذور البادي

والمرء لا يرقى ويحيا للسما

حتى تراه جثةً في الوادي

فالعيش موت والحياة خسارة

إن لم تقاتل للمسيح عوادي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع: (١)"فأوثقوه" (٢)"وبصقوا عليه"

"هو ذا الشرط الأساسي لإدخالنا في جمعية أصدقاء الله السرية: أن نقف مع المسيح أمام محكمة أهل العالم حتى نقبل ذات الإهانات وضروب الشتائم التي احتملها هو- سواء أكانت صادرة من ديانات العالم أو من مدنياته أو من سلطاته ومقاييسه الاصطناعية التي تقضي على الحقيقة قضاء تاماً. فنحن، بمجرد إقرارنا بعجز العالم عن إعطائنا الملكوت غير الملموس- نعلن تباعدنا عن العالم وكل متعلقاته. فالعالم طبعاً يجلس في كرسي القضاء مستعداً أن يقمع العاصي الذي لا يقبل حكمه. فجهل العالم وجبنه وكسله هي هيئة القضاة الذين يحكمون على المؤمنين كما حكموا مرة على أول بني البشر وأطهرهم وأبرعهم جمالاً".

جون كوردلبير (اللاهوتي الكاثوليكي)

في كتابه "طريق الحكمة الأبدية"

كما حمل اسحق الحطب إلى جبل المريا حمل يسوع الصليب إلى جبل الجلجثة؛ وكما أوثق اسحق ووضع على المذبح أوثق يسوع كي يوضع على الصليب. يقول الكتاب "فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب" (تك٢٢: ٩) إن الآراء اليهودية في كتاب المشنا- أي كتاب الأحاديث اليهودية- اتجهت نحو حادثة ذبح اسحق وقدرت ما لواقعتها من الأهمية العظمى بأن جعلتها أساس التذكار السنوي العظيم لهذه الحادثة التي وقعت على جبل المريا. وإلى اليوم نرى اليهود يتلون في رأس سنتهم صلاة (العقدة) أو الربطة هذه قائلين:

"اذكر لنا أيها الرب إلهنا القسم الذي أقسمته لأبينا إبراهيم على جبل المريا واحسب لنا ربطه لابنه اسحق على المذبح عندما أخمد نار محبته الأبوية ليفعل مشيئتك بقلب كامل وهكذا فلتخمد محبتك نار غضبك علينا وبرحمتك العظمى لنا يرتد حمو غضبك عن شعبك ومدينتك وميراثك... اذكر في مراحمك اليوم لنسله ربط اسحق". ويقول الدكتور لاندسبرج "وزادت أهمية "العقدة" على مر السنين فإن كتب اليهود القديمة ملأى بالإشارة إليها وقد أضيف في الصلوات الصباحية طلب المغفرة من أجلها كما أضيفت قطعة اسمها "العقدة" إلى صلوات كل يوم من أيام التوبة بين اليهود الألمانيين".

فهل كانت هذه الصلاة مستعملة في أيام المسيح إذ كانت توثق بربُط إلى قرون المذبح (مز١١٨: ٢٧) كما تتلى صلوات مخصوصة عند ربط مثل هذه الذبائح؟ مهما كانت العادة المتبعة بالنسبة لذبائح الهيكل فربما خطر لبعض التلاميذ عندما رأوا يسوع يوثق في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جثسيماني أن حمل الله كان يساق إلى "الذبيحة العظمى" التي كانت حادثة ربط اسحق وخلاصه رمزاً لها.

إن ثلاثة أمور من البُشراء الأربعة يشيرون إلى حادثة ربط يسوع في البستان وأمام بيلاطس إشارة خاصة متكررة. فيوحنا الحبيب مثلاً يقول عن الواقعة الأولى: ثم أن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه ومضوا به إلى حنان أولاً... وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة حيث استُهزئ بيسوع ولُطم وجهه وبُصق فيه، ثم "لما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس البنطي الوالي (مت٢٧: ١و ٢). ويقول مرقس البشير "تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع ومضوا به إلى بيلاطس".

فالحادثة الأولى أن السيد الرب بسط يديه كي توثقا تحت ظلال أشجار الزيتون في جثسيماني، وأن مظهر مقاومة بطرس بضربة سيفه الطائشة كانت كافية للجند فربطوا يديه- اللتين امتدتا لشفاء ملخس- بحبال وراء ظهره و "حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا". وهكذا انتهى المنظر الأول في فاجعة تلك الليلة المريعة ولم تكن الطريق طويلة حيث سيق يسوع موثقاً إلى نفس الباب الذي كان قد خرج منه وتلاميذه بعدما أكلوا الفصح، ثم إلى بيت حنان رئيس الكهنة الأسبق ثم تركه العسكر بعدما فكوا وثاقه ومضوا إلى مراكزهم إذ لم ترد في الإنجيل أية إشارة عنهم.

اختبر يسوع أمام حنان وقيافا كل غرائز الحقد والحسد التي كان عليها "أبناء هرون الوقحون الفاسقون الخونة المتعجرفون الأدنياء". الذين ما ذكر معاصروهم أسماءهم إلا بهمس اللعنات. هنا أصابت يسوع أول لطمة؛ وبعد المحاكمة الصورية بالشهود الزور وسبق الإصرار على الحكم عليه بالموت كما نقرأ في إنجيل لوقا جنى حراس قيافا الأشرار وخدامه الأدنياء على ذلك العاجز بقساوتهم المفزعة وفظائعهم المريعة. ومع ذلك فتلك الإهانات والتعييرات واللكمات التي وقعت على شخص ذلك المتألم المنبوذ الذي كان غير مقاوم لا عاجزاً، غير مخاصم لا مقهوراً، غير يائس بل مهوباً في خضوعه التطوعي لأعلى مرامي المحبة قد أظهرت أحط دركات اثم ولعنة البشرية، ولكنها في الوقت نفسه قد أزالت ذلك الإثم وتلك اللعنة وذلك لوقوعها على شخص المسيا ابن الله.

كانت قصص تقييد الأيادي المذكورة في أسفار العهد القديم ماثلة في ذهن السيد ولكن هل كانت أيضاً ماثلة في ذهن مضطهديه؟ هل قدم شمعون يديه طواعية واختياراً عندما قيده يوسف أخوه رهينة حتى يرى أخاه بنيامين؟ أُوثق شمشون الجبار مرة تلو المرة ولكنه كان يهزأ بموثقيه كل مرة سواء كان الوثاق حبالاً جديدة أو أوتاراً طرية فإنه كان يقطعها "كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقطع فتيل المشاقة" ولم يغلب قط حتى ترك الرب فتركه. وأوثق ارميا بحبال وألقي في جب الوحل ولكن الرب أنقذه. كذلك أنقذ رفاق دانيال الثلاثة عندما "سقطوا موثقين في وسط أتون النار المتقدة". كل هؤلاء أوثقت أياديهم ولكنها كانت أيادي بشرية أما يسوع فكان كالشخص الرابع في أتون النار "شبيه بابن الآلهة" بل ابن الله نفسه. انظر إلى يدي يسوع- إن تشارلس بيل في مقالته الشهيرة عن يد الإنسان كدليل الخالق يصف لنا تشريحها العجيب ومناسبتها الغريبة لمهارة الإنسان وتمييزه عن أعلى طبقات الحيوان ولكن من منا يستطيع أن يصف يدي يسوع (اللتين تقدر أن تقرأ عليهما لا شخصيته الكاملة فقط بل وخلقه الكامل أيضاً) فإن تلكما اليدين المربوطتين استندتا على صدر مريم الحنون في طفولته، وبهما اشتغل - كنجار- في تشذيب أنيار الثيران أو عمل المحاريث لفلاحي الناصرة، وطالما مدهما السيد الرب في شفاء البرص والعرج والعمي. إنهما يدا الرقة والعطف اللتان وضعتا على الأطفال الذين احتضنهم، بنفس هاتين اليدين المربوطتين الآن صنع الرب من التفل طيناً وطلى عيني الأعمى منذ ولادته موغراً بذلك عليه حسد وحقد أولئك الذين بقوا في عماهم الروحي بالرغم من عجائب المسيح وأعماله. بهما صنع سوط الحبال ورفعه في غيرته على بيت أبيه وطرد من الهيكل الغنم والبقر وبهما أشار إشارة النهي على الذين جعلوا بيت أبيه تجارة ومغارة لصوص. بهما قدم السيد "اللقمة" في العشاء الأخير إلى مسلّمه يهوذا الخائن. بهاتين اليدين "يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي" أخذ منشفة واتزر بها وغسل أرجل التلاميذ حتى ورجلي يهوذا. ما أكثر ما انضمت هاتان اليدان في صلواته الانفرادية على قمم الجبال وأخيراً شبكتا في ألم صلاته الشفاعية في البستان، والآن فإنهما أوثقتا وبعد قليل تسمران على الصليب. بهاتين اليدين كسر الخبز وقدم بهما كأس الشكر قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي... اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا".

والآن كان إتمام هذه النبوة العظمى والأخيرة أن يكسر جسده ويسفك دمه الذي للعهد الجديد من أجل الخطاة. "فأوثقوا يسوع!" "يا أبتاه اغفر لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

لقد عرف رئيس الجند عندما شغب الشعب ضد بولس الرسول أنه لا يجوز أن يجلد "إنساناً رومانياً غير مقضي عليه... واختشى... لأنه قد قيده" (أع٢٢: ٢٦و ٢٩) أما هؤلاء فلم يخافوا. لقد سمع كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن قصة تقييد يسوع هذه من شهود عيان وكتب عن الرجال والنساء الذين أُخذوا أسرى في زمانه قائلاً: "اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم". ولكن ههنا لم يكن أحد يذكر قيود يسوع؛ حتى بطرس الرسول استحى من قيوده فقال : "لست أعرفه".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لكن من الذي أوثق يدي المخلص في البستان ثم في البلاط؟ هل العسكر الروماني؟ إن كان هؤلاء فقد قاموا بالواجب كعساكر تحت الأمر. هل أضاف يهوذا لمسة الخوف هذه لجريمة خيانته الفظيعة؟ أو هل اقترح حنان ضرورة إيثاق يديه؟ فإنا نقرأ بعد ذلك هذه العبارة "وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة" هل كان بيلاطس غير مذنب لتركه هذا السجين موثقاً وجلدِه إنساناً لم يفحص قانونياً ولم يحاكم شرعاً ولم يوجد فيه عيب؟

"هوذا الإنسان"!...

هوذا الآتي بالحياة والنار والنور من السماء دون مكر أو خداع، هوذا المانح الخليقة الجديدة للإنسان والواهب أسمى هبات السماء وأعظمها، هوذا يسوع موثق اليدين.

ترى كيف خالوا وأنت المسيحْ

أراموا لزاماً موات الذبيح؟

نظرتَ إليهم فولَّى الجميع

وعادوا لقيد المسيَّا المليح

تركت السماء لمنح الحياة

فغلّوا يديك بلؤمٍ قبيح

لماذا جنحتم لفعل اللئام

أهذا الجزاء لحبي الصريح؟

لديّ مياه لكل العطاش

وزيتٌ وزاد لكل جريح

وأنتم لديكم عصير المرار

وكل صنيع عفنه يفيح

ولكن جهلتم بأني أتيتْ

لقهر الخطايا وسحق القبيح

فهيا بكأس ملاه الإله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فإني صبور وعزمي صحيح

يقول روبرت كبل "إن يسوع الناصري ما زال إلى يومنا سائراً في طرق العالم بيدين موثقتين فلا تلد الجريمة طفلاً وتدفعه كسيحاً إلى عالم الويل والشقاء ألا ويشرب من أجله المسيح ثانية من تلك الكأس؛ ولا يعثر شخص- شوهه الإثم وكاد يعميه الهوى- في أحد بيوت البغاء ألا ويكون "يهوذا اسخريوطي" آخر قد سلم سيده ثانية لقاء دراهم معدودة. ولا يجلس تلميذ في مجلس يوضع فيه اسم المسيح على المشرحة وينكره عند الحاجة ألا ويجرح المسيح ثانية جراحاً أشد وأعمق مما جرحه الرومان أو اليهود. بل لا تُرسم خطط أية خطية تعمدية ويحكم تدبيرها وتتم في أي مكان ألا ويكون صاحبها قد اعتلى صليب المسيح وطعنه في قلبه بهزء.

٢"وبصقوا عليه"

و" بصقوا عليه". إن الكلمة اليونانية المستعملة هنا لأداء هذا المعنى المؤلم هي غير الكلمة المستعملة في الأناجيل الأربعة عن استعمال المسيح للتفل في شفاء المرضى أو العمي (مرقس٧: ٣٣و ٨: ٢٣ويو ٩: ٦). البصق أقدم وأعم أنواع الإهانات. وربما تعلم الإنسان قديماً هذه العادة الفظيعة من بعض الحيوان كالضفدع والقط أو الأفعى السامة والصل المميت.

والأمثلة في الكتاب المقدس على ذلك كثيرة. منها "فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقاً في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام" (عدد ١٢: ١٤) و"تتقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق في وجهه وتصرخ وتقول هكذا يُفعل بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه (تث٢٥: ٩) و "يكرهونني" يبتعدون عني وأمام وجهي لم يمسكوا عن البصق (أي٣٠: ١٠).

وهنا لا يسعنا إلا ذكر نبوءة اشعياء عن المسيح المملوء نعمة وحقاً الذي يحتمل عار شعبه وتوبيخهم: "أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة. يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذناً لأسمع كالمتعلمين. السيد الرب فتح لي أذناً وأنا لم أعاند. إلى الوراء لم أرتد. بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين. وجهي لم أستر عن العار والبصق" (اشعياء٥٠: ٤- ٦).

ألم يشر المسيح نفسه إلى هذه النبوءة عندما تنبأ بفاجعته المريعة قائلاً: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة... فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه" (مر١٠: ٣٤و ٣٥).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهنا نرى أحط إهانة ألحقت بشخص مخلصنا المهيب. يقول ستوكر: توجد أشياء مخيفة في الإنسان، ودركات منحطة في الطبيعة البشرية لا يمكننا النظر إليها. بكمال المسيح وبره ظهرت أحط دركات اثم أعدائه. هوذا العدو في اشتباك مع يسوع: فكانت مخالب التنين في جسم السيد ونَفَسه الكريه في وجه المخلص ولا يمكننا أن نتخيل كيف كان وقع هذا العار وتأثير هذا الهزء على عقل المسيح المهوب الحساس.

من الذي اقترف هذه الفظاعة المتكررة؟ إن الإنجيل يظهر أن البادئين في ذلك كانوا جماعة كهنة اليهود وخدامهم ثم عسكر الحرس (مت٢٦: ٦٧و ٢٧: ٣٠).

حقاً أوروبا وآسيا، الشرقيون والغربيون، بصقوا بغضبهم وشدة احتقارهم في وجه المسيح المقدس "لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله". ولكن هذه الفظاعة أجريت له أولاً بواسطة خاصته الذين عرفوه جيداً وعرفوا معنى تلك الإهانة من أسفار الناموس والأنبياء.

فيا له من إعلان مؤلم عن مقدار ما تُدنّئ الخطيئة تمييزَ البشر وإدراكهم وتحط من درجة أخلاقهم. إن البصق لهْوٌ من الاحتقار، وعلى ذلك فقلوبهم المظلمة هي التي نفثت سموم غلهم. ولكن هذا المنظر الذي لا يوصف قد رُسم في كلمات قليلة كإحدى صور مبراندت المصور الشهير حيث ترى أرضية الصورة مظلمة كالليل دلالة على ظلام القلب البشري وشره المفرط وكراهته لكل ما هو طاهر وحسن.

على أنهم لم يستطيعوا أن يبصقوا على وجهه إلا بعد أو أوثقوه وغطوا وجهه. وهكذا الحال دائماً والتاريخ يمدنا بالأمثلة العديدة عن أولئك الذين بصقوا في وجه السيد أو في وجوه تلاميذه. نجد في كتاب الشهداء منتهى القساوة في المعذّبين ومنتهى الإهانة والاحتقار الذي شعر به بولس الرسول عندما كتب "صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن". وبينما كان القديس برنارد يرنم:

"اسم يسوع قد حلا لمسمع المؤمن

يشفي جراح المبتلى والخوف يستأمن"

كان غيره يُرنمون على أن يجدفوا على اسم المسيح بواسطة عذاباتِ محكمة التفتيش وفظائع الحروب الصليبية. وكم من مرتد وملحد وكافر قد نفثوا حقدهم واستهزاءهم ضد يسوع! فإنه لا توجد عداوة أشد من عداوة المرتد. كان نيرون ظالماً في إهراقه دم المسيحيين ومع ذلك فإنه لم يظهر شيئاً من شدة الغضب التي أثارها ضد أتباع المسيح ذلك المرتد الإمبراطور يوليانوس الذي آمن بيسوع ثم أنكره. ولنا في جبون المؤرخ الشهير مَثَلٌ آخر إذ كان عضواً في الكنيسة الإنجيلية فعضواً في الكنيسة الكاثوليكية ثم هجر الثانية كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ترك الأولى. أما نيتشه فقد سقط إلى أحط دركة حتى أنه نطق بتعبيرات بذيئة عن المسيح لا يمكن وصفها إلا بالبصاق قائلاً: "إني أدعو المسيحية اللعنة الوحيدة الكبرى والضلال الداخلي الهائل بل السليقة الفريدة العظمى للأخذ بالثأر التي ليس في الوجود وسائل أكثر سماً أو أخبث خفاءً وتستراً أو أشد حقارة من وسائلها. بل إني أدعوها عيب الإنسانية وعارها الذي ليس بعده عار. فهل يمكن أن يصل الحقد البشري وبغضته إلى أبعد من هذا؟

العار روحي قطَّعا والجسم قد تمزّقا

من حقدهم وجبنهم وصلبهم تخزقا

لكن أقسى كل ذا وطعن جنبي بالمدى

إن عيروني موثقاً وسلموني للعدى

لبصقهم وهزئهم كي لا يكون في الدنا

فرد بريء في القضا فهل رأيت حزننا؟

غير أننا نلاحظ أيضاً في هذا المنظر للمسيح المهان أهمية الكراهة الشيطانية المطلقة وشعور المخلص الإنساني بالانتصار ويقينه من الغلبة. ألم يقل "طوبى لكم (أوَلم يشعر بهذا أيضاً) إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا... فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم".

هوذا الإنسان! فإن المسيح- تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته فإنكم "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" ذاكرين ذاك "الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً". كما قال أحد آباء الكنيسة القدماء

من هذا الذي يتألم؟

إنه المسيح كلمة الآب وحكمته

بما يتألم

بالشوك والجلد والبصق والصليب

بما أن الله يتألم هكذا

تعلم أنت أن تتألم بصبر مثله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس: "اقتسموا ثيابه"

(مز٢٢: ١٨مت٢٧: ٢٨و ٣٥ مر١٥: ٢٤ لو٢٣: ٣٤ يو١٩: ٢٣و ٢٤)

إن ما نراه هنا هو روح الحكمة الأزلية. السر الكائن في قرارة الحياة أنه الكلمة الذي يتخلل كافة الأشياء بصورة دائمة. أنّى ما نظرنا نرى- وراء رداء الطبيعة وجلباب الفن، وراء الدين والعلم بل وراء الجمال والحب في ربوات أنواعه- نرى هذه القدرة الفائقة محتملة إلى النهاية، معصورة بالألم ومنهوكة إلى دركة الضعف والصغار لأجلنا غير مبقية على أمر قد تنال به أرواحنا الضالة نوراً أكثر. إن اللاهوت المطلق واللامدرك الذي في فكره نسكن هو المعرّى هنا عن ثيابه والمعرّض لنظرات عيون خلائقه غير المدركين من أحباب وأعداء وأشرار وأخيار على السواء.

جون كوردلييه

في كتابه "طريق الحكمة الأبدية"

تعرية المسيح!

إن البشراء الأربعة يشيرون إلى هذا الاختبار المريع الذي ذاقه مخلصنا يسوع المسيح- فيشير إليه مرقس البشير الذي هرب نفسه من الشبان عرياناً في البستان. ويشير إليه متى الذي يلاحظ أن هذه الحادثة كانت إتماماً مباشراً لمزمور مسيا القائل: اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة. ويوحنا الحبيب يشير أيضاً إلى هذا المزمور الذي يعطينا أقصى وأتم وصف عن آلام الصلب "ثقبوا يدي ورجلي" "ينظرون ويتفرسون فيّ" "احصي كل عظامي".

ولا شك أن هذا الاختبار كان من أفظع الاختبارات المؤلمة لحاسيات المسيح بالنسبة إلى طهارته وشرف رجولته إذ يقول متى "فعرّوه" وهكذا عرياناً خرج من بطن أمه وعرياناً تعلق على خشبة العار.

لقد اختبر آدم الأول بمعصيته العري الجسدي والأدبي واتخذ آدم الثاني على نفسه شبه جسدنا الخاطئ ولذا فإن عليه عار عرْينا أيضاً.

والكلمة صار جسداً ورأى الناس مجده- وتفرسوا في عاره- ومع ذلك فقد كان هذا أيضاً مجده. إن مسيح الله عُرّي وكان هذا أقصى ذُله، إنه عرّي حتى ببره نكتسي نحن بالثياب البيض وعندما يعرّينا الموت لا نوجد عراة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن جميع كتاب الرومان مجمعون، في وصف طريقة الصلب، على أن المقضي عليه بالصلب يُعرَّى. وسمعنا أن اليهود كان يسمحون بإعارة مجرميهم سترة يتزرون بها، وهكذا قضى عُرف الفن في تصوير هذا المنظر المريع. ومع ذلك فيلزمنا أن نضيف إلى هذه الصورة المحزنة أفظع إهانة احتملها المسيح ألا وهي عري رداء العفة والحياة التي خافها حتى القديسون في استشهادهم، والتي فزع منها بعضهم غماً وألماً.

هكذا تألم المسيح! ونحن الذين وضعنا هذه الألوان القاتمة في هذه الصورة، يلزمنا ألا نمر بها دون ما اكتراث.

على أن لهول الصليب الذي اختبره المسيح مظهرين: الألم الجسداني والألم النفساني. فألم الجسم من جراء الجلد الفظيع وتسمير اليدين والقدمين وعطش الحمى واختلاج الأعصاب يعذّبها حمل الجسد المكسور الراغب في الانطلاق. وألم الروح لكونه رُفض من خاصته وعرّي من ثيابه وأُحصي مع أثمة وصار تحت لعنة الخطية ومحتقَّر زميله في الألم. فلا عجب أن ظلمة من السماء قد كللت الأرض وسترت خاتمة هذا المنظر المريع.

وقد أثبتت صرخته المرّة لجميع الناس في جميع العصور أن آلام روح المسيح كانت روح آلامه.

يا من تمرُّ من هنا هذا هو الإنسان

بل رجل الحزن الذي قد صالح الديّان

هذا هو الذي لنا قضى على الصليب

وحمل الله الذي قد رفع الذنوب

إذ قيّدت أوصاله للبصق بل للعارْ

وسمَّرت أطرافه جماعةُ الفجار

واقتسمت ثيابه الـ حرّاس والعسكر

وعرَّضت حياءَه للخزي والنظر

فصار عرياناً عري[١] بل صار متزرْ

إذ سال من جراحهدمٌ حرى وقرْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهنا عندما نتأمل في مظهر موت المسيح تستلفت أنظارنا ثلاثة أفكار: أن المسيح عرّي كلية على خشبة العار، وأن العالم ما يزال يعرّي يسوع المسيح ثم يقتسم ثيابه مقترعاً عليها، وأن المسيحي ينبغي له أن يعرى على صليبه. قال مرة مفكر نابه: "إنك لن تستطيع أن تحب يسوع بلا ثمن، ولن يمكنك أن تقابل الصليب دون دفع الثمن سواء قبلت أو أبيت فإن المقاتلة (المبارزة) تترك وراءها جرحاً على الأثر". وطبعاً كان هذا الفكر نتيجة التأمل في تعرية يسوع هذه.

إن أعمق معاني التجسد تظهر على الصليب. ولبولس الرسول كان الصليب نهاية اتضاع المسيح إذ يقول: "وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب". وهنا الجواب عن سؤال الأبرار في يوم الدينونة العظيم: "يا رب متى رأيناك عرياناً؟" فهو لم يخف شيئاً. قال أيوب في يأسه: "هوذا يقتلني. لا أنتظر شيئاً". أما يسوع فيقول: "هم يقتلونني، أما أنا فأريهم كل ما في جنبي الدامي ويديَّ ورجلي. "احصي كل عظامي. وهم يتفرسون فيَّ".

إن الملك هنا ليس في مجده بل في عريه للجميع على السواء الشعب والعسكر، الكهنة والتلميذ الحبيب، أمه الحنون والنساء التابعات. إن "الله ظهر في الجسد" ولكن في هوان. وهل يستطيع أحد غير الذي عاين أن يكتب تلك الكلمات الواردة في الرسالة إلى العبرانيين "هم يصلبون ابن الله ويشهرونه" فلا عجب أن أنزل الستار في وسط هذه المأساة، "فكانت ظلمة على الأرض".

وإذ مات المسيح الخالق الـ أسمى عن الإنسان

فحسناً تحتجب الـ شمس عن العيان.

ولكن يسوع لم يقتصر في يأسه وألمه على احتمال الصليب وإنما احتمله مستهيناً بالخزي من أجل السرور الموضوع أمامه.

في هذه اللحظة- كما ورد في إنجيل لوقا- قال يسوع: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".

وُضع فوق رأسه عنوان السخرية الذي كتبه بيلاطس استهزاء به- "هذا هو ملك اليهود"- ملك بلا أرجوان، عرشه الصليب، والعسكر يقسمون ثيابه بينهم وعلى لباسه يقترعون.

هل يستطيع أحد أن يستحي من يسوع أو يصلبه ثانية ويشهره بعد كل هذه؟

على أن هذا المنظر كان نبوياً أيضاً إذ مضى تسعة عشر قرناً ونيف والمسيح ما يزال يصلب ثانية ويشهر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عند الصليب زمرة من عسكر الرومان

اشتجروا تحت يدي رب الفدى المنان.

وبعد ذا تصالحوا لضرب قرعة

على قميص من أتى للصلب والهوان

أواه من ظلم لكم أيها الجنود

إذ تنظرون الأرض قد مادت من الأركان

وتسمعون قوله اغفر لهم الآن

وتقسمون ثوبه وهو العلي الديان

وماذا كانت ثياب يسوع؟ "يا رب إلهي قد عظمت جداً. مجداً وجلالاً لبست. اللابس النور كثوب" العالم رداء جلاله، والسموات الشقة التي تحجب مجده، والسحاب مركبته. لأن يسوع إله حق من إله حق ويوحنا الحبيب لا يحجم عن أن يقول: كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان.

كل جمال الطبيعة الرائعة صنعة يديه- قميصه المنسوج بالمجد والجلال دون خياطة- توحيد الكائنات يشهد لتوحيد الباري. وأن العلم والفن لا يستطيعان إلا أن ينظرا ويتأملا في الجمال والنظام اللذين كانا في الطبيعة من البدء، لأن يسوع هو مبدع كليهما، بل أن غروب الشمس الأحمر ليذكرنا بدم الصليب القاني. إن الفنون الجميلة- النحت منها والتصوير والهندسة المعمارية والموسيقى- تدرّجت في مراقي الحسن والكمال بتأثير حياة المسيح وموته. ومع ذلك فكم من مرة نرى المصور والموسيقى يعريان يسوع من ثيابه لمجرد تصوراتهم الشخصية ثم يتركانه معلّقاً بالعري والهوان. وهاك دارون في كتابه "أصل الأنواع" يحاول أن يشرح أصل الإنسان ومقامه في الطبيعة، ولكنه يتجاهل في بحثه "ابن الإنسان". فما هو أصل يسوع؟ أنه يوجد عالم آخر- وراء هذا العالم الواقع تحت نظرنا وإدراكنا- لا يدخله العلم وليس له من طريق أو مفتاح؛ فإذا نحن عرينا الخليقة من الخالق بشرح نواميسها كافة من دونه تعالى هل يجعلنا هذا أكثر غنى أم يتركها أشد فقراً؟ قد يقولون في أورشليم هوذا الإنسان الذي يلبس قميص الناصري الذي بدون خياطة؛ ولكن هل وجد هذا الإنسان الطريق إلى قلب يسوع؟

حقاً أن العلم المجرد ليس له مكان للاعتبارات الأدبية وكما يقول جيمس آدمز: "إذا كنا نعتنق كلية وبإخلاص مبادئ العلم المقبولة فإنا نهدم في الحقيقة جميع الاعتبارات في الحياة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

البشرية. وها الفنون الجميلة قد بدأت تظهر هذا التأثير المتلف- ففي الرواية مثلاً ما فائدة الكتابة عن الأخلاق إذا لم يكن هناك شيء يدعى بهذا الاسم، أي إذا كانت الشخصية خرافة وحرية العمل حلماً، إذا كان كل ما نحن عليه هو مجرد حالات عقلية متتابعة دون ما أهمية كوهيج ضوء الفوسفور على الخشب البالي".

والفلسفة أيضاً قد عرّت يسوع فإن الفلاسفة يبحثون- بحكمة أو بلا حكمة- نفس المعضلات التي أتى لحلها وقد حلها نفسه، ثم يتركونه خارج نطاق أبحاثهم. فهناك كتاب فلسفي اسمه "المعضلات والفلسفة الحديثة" يقع في ٥٧٥ صفحة ومع ذلك فقد خلا من أية إشارة إلى يسوع المسيح مع أن المسيح جاء ليجيب عن الأسئلة الأصلية للفلسفة مثل: من أين جئنا؟ لماذا نحن ههنا؟ ما هي طبيعتنا الحقيقية؟ ما هي نهاية غرضنا؟ ما هي الحياة؟ ما هو الموت؟ ما هو سر الألم؟ وما هو رجاء البشرية؟ ألا نرى أن سبينوزا وهجل وشوبنهور وكنت وهكسلي وسبنسر وبرجسون وباقي الفلاسفة إنما يقترعون على قميص المسيح؟

والأدب العصري أيضاً يغتصب من يسوع موعظته على الجبل ولكنه يرفض أن يصعد إلى الصليب. وأن أولئك الذين ما دخلوا قط معه بستان ولا رأوا صليبه يتشدقون كثيراً عن أخ أكبر وعن أبوة عامة ولكنهم لا يعرفون قيمة ذلك. واللاهوت العصري والهندوسية الحديثة واليهودية العصرية تحسد بل تطلب أدب يسوع الاجتماعي ولكنها تنكر لاهوته بتاتاً. وفوق ذلك فإن كل ما هو جليل، كل ما هو حق، كل ما هو شريف في هذه الديانات العصرية والفلسفات المستحدثة إنْ هو إلا ثوب مستعار أخذته عن المسيحية وادّعته لنفسها مثلما "أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً".

والاشتراكية تبشر بإنجيل اشتراكي ولكنها تنسى أن ذلك الإنجيل الاشتراكي ولد في بيت لحم وأن حقوق البشرية ختمت بالدم على الجلجثة. والصليب الذي كان سابقاً رمز العار والجريمة أصبح بفضل من تعلق عليه رمز المساواة والسلام والمحبة وعنوان الشجاعة والولاء والاستشهاد. كيف نستطيع أن نتكلم عن الخدمة الاجتماعية ونترك وراءنا يسوع؟ إن الإنسان عندما يزور مستشفيات الصليب الأحمر والملاجئ المسيحية ودور البائسين ومراكز رعاية الأطفال ليصرخ أحياناً من أعماق روحه قائلاً مع مريم: "إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه؟" أجل إن الرمز موجود ولكن المسيح قد تُرك خارجاً وليس له مكان فيها. وقد اعتدنا كمسيحيين أن نرسل تهانينا بعيد الميلاد ولكن كثيراً ما لا توجد على بطاقات هذه التهاني أدنى إشارة إلى رسالة الميلاد التي تخبر بتجسده بوضوح وجلاء. نعم، فالثياب موضوعة ولكن يسوع ليس موجوداً والناس يقترعون على قميصه بينما هو معلق على الصليب وحيداً عرياناً منبوذاً "وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء" (مت٢٧: ٣١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فلا عجب إذا وجدنا في طقوس الكنيسة اليونانية عن الآلام- أن الكهنة بعدما يعددون آلام مخلصنا واحداً فواحداً ويطلبون الرحمة بعد كل واحد يختتمون الخدمة بهذه الطلبة "بأحزانك غير المعلومة لدينا وآلامك التي شعرت بها على الصليب ولكن لا ندركها نحن بجلاء ارحمنا وخلصنا".

ونحن نحتاج إلى هذه الطلبة، فإن المسيحي أيضاً يُعرّى على صليبه كما عُري المسيح على الصليب وليس التلميذ أفضل من معلمه. عندما نعلو صليبنا يرانا الناس كما نحن حقيقة؛ فإن الضيق ينشئ صبراً والصبر تزكية وعلى قنطرة الموت المريعة لا يمر شيء عدا الشخصية عارية. وهنا يصف كارليل الكاتب المشهور جميع البشرية كواحد وشبه واحد غريب عندما نعرى عن ثيابنا وحلينا- أي من شارة المجد والمنصب وعظمة المكان التي تجعل ذلك التمييز. وليس في الحياة شيء يعلن قرارة الأخلاق أكثر من الألم. فإن النار تفصل؛ أما الصلب فيكشف ويعلن. صُلب يسوع البريء وجستاس وديزماس المجرمَين. ولكن واحداً مات في الخطية، والآخر مات للخطية، والأخير مات عن الخطية. فالأول مجدف والثاني مؤمن والثالث مخلّص. واحد مات ففقد حياته، وواحد مات فوجد حياته، وواحد مات فأعطى حياته. على الصليب يرانا الله والناس كما نحن لأن الموت يعرّينا من كل شيء عدا الروح الداخلية، فيذهب كل رداء تستتر وراءه النفس. وعندما نقف أمام كرسي القضاء نقف عراة كما قال أيوب "عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك"، "كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا" عندما نعبر قنطرة الموت.

ولذلك فإننا عندما نتفرس في المخلص على الصليب "نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء. وإن كنا لابسين لا نوجد عراة"، و"طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عرياناً فيروا عورته" (رؤ١٦: ١٥). ومن بين التطويبات السبع الواردة في سفر الرؤيا نرى أن هذه أكثرها إهمالاً.

وليس للفعل "مَلَكَ" مكان في السماء لأن الفعل "صار" قد لاشاه منها؛ فنحن لا نملك هنالك بل (نصير) ملكاً أبدياً "هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض من هم؟" هم لابسون ثوب بر ليس لهم. وفي وسط ربوات أولئك الجماعات قد وقف ذاك الذي عُري على الصليب، ولكننا نراه الآن "متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب".
سأل مرة المصور ووتس صديقه فردريك شيلدس أن يصف الألوان الحقيقية لثياب الإيمان فقال: أن الإيمان هو توكيد الأمور السماوية للبشر المسجونين بالأمور الجسدانية ولذلك فإن جناحيه ودثاره بلون السماء أما ثوبه فأبيض نقي، وذلك لأن الذين يطلبون البر بأعمالهم يخيبون مما لا يستطيعون أن ينالوه إلا بالإيمان فقط. وهكذا عندما نلبس ملابس الملك البيضاء نفهم أخيراً المعنى الروحي والرمزي لهذه الكلمات.
"اقتسموا ثيابه بينهم".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟"

يبتدئ مزمور الصليب بهذا الصراخ: "إلهي! إلهي! لماذا تركتني؟" وينتهي في الأصل العبري- حسب رأي بعضهم- بهذا الإقرار: "قد أكمل". يمكننا القول أنه لا شيء يشبه هذا المزمور بالنسبة لما ورد فيه من عبارات الأسى والأسف الصادرة من أعماق حزن لا يدركه الإنسان. ولا عجب فهو صورةُ أشد ساعات مخلصنا حزناً وسجلُّ كلمات موته وقارورةُ آخر دموعه وذكرى أفراحه التي كانت له وقت النزع.

قد يكون في هذا المزمور وصف لداود وأحزانه بصورة مصغرة جداً؛ ولكن كما أن نور الشمس الساطع يحجب لألاء النجم الضئيل، كذلك فإن من يرى يسوع فلا يرى ولا يهتم بأن يرى داود. نرى هنا وصفاً لظلمة الصليب ومجده كما نرى فيه الآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. فيا الله هبنا نعمة لنقترب ونرى هذا المنظر العظيم. إنه ينبغي لنا أن نقرأ هذا الوصف بخشوع خالعين أحذيتنا من أرجلنا كما فعل موسى عندما اقترب ليرى العليقة، لأنه إذا كان في الكتاب أرض مقدسة فهي موجودة في هذا المزمور".

تشارلس سبرجن

الواعظ الشهير

كلمة نطق بها المسيح على الصليب وسجلها متى ومرقس؛ وهي بعينها واردة في بدء المزمور الثاني والعشرين ومع ذلك فلم يشر إليها أحد البشراء كإتمام للنبوة. وهكذا خرجت هذه الكلمة من شفتي المخلص بعد أن قاسى السيد- جسداً ونفساً- آلام ست ساعات كاملة. أما كلمته الأولى فهي: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" وهي صلاة شفاعة بطلب المغفرة. والثانية: "اليوم تكون معي في الفردوس" وهي كلمة عهد بالراحة والسلام. والثالثة: "يا امرأة هوذا ابنك... هوذا أمك" وهي كلمة اهتمام رقيقة إلى أمه ولأجلها. ثم كانت الظلمة، وقبلما نطق السيد بكلماته الثلاث الأخرى بتتابع سريع قائلاً: "أنا عطشان" "قد أكمل" "يا أبتاه في يديك أستودع روحي"- صرخ صرخة الألم المريعة "إلهي إلهي لماذا تركتني؟". ولماذا؟

لأنه ليس بين المفديين من عرف عمق تلك المياه التي قطعها المخلص، ليس من أدرك ظلام الليالي التي قضاها السيد قبلما وجد الخروف الضال.

إن في هذه الكلمات التي فاه بها يسوع وهو على الصليب قوة فذة وشعوراً عميقاً يسجلان نفس الكلمات التي استعملها السيد له المجد وهي: ايلي ايلي لما شبقتني. وفوق ذلك فلا نرى في جميع أسفار الكتاب المقدس تكراراً لهذه الكلمات إلا في مزمور المسيا. وإن هذه الصرخة لتعبر عن آلام مبرحة لم يرها هذا العالم إلا في هذه المرة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنالك رواية يشير إليها لدولف الكرثوسي منذ القرن الرابع عشر وهي أن السيد له المجد بدأ يعيد وهو على خشبة الصليب كلمات المزمور الثاني والعشرين واستمر في تأمله حتى وصل إلى العدد الخامس من المزمور الحادي والثلاثين حيث قال: "في يديك أستودع روحي". ومما لا شك فيه أن في تلك المزامير التي كانت في قلب المسيح وغالباً على فمه، شرحاً لحياته، وإدراكاً لوظائف المسيا. وقد يتعذر علينا أن نجد خارجاً عن كتاب المزامير مثل هذا الشرح.

ومع ذلك فهذه الصرخة العميقة هي للمؤمن إعلان للآلام المبرحة والحزن العميق التي احتملها المخلص وبرهان على محبته اللانهاية لها للخطاة. إنها تطلب منا مع جميع القديسين أن نكون "أقوياء حتى ندرك ما هو طول وعرض وعلو وعمق محبة الله التي تفوق كل إدراك".

وإذا كان الصليب هو الحقيقة الأساسية للعهد الجديد فإن هذه الصرخة هي قلب هذه الحقيقة وأعمق تصريحاتها، بل هي قدس الأقداس لمن يدرس بخشوع قصة الآلام.

حق لسبرجن أن يقول: "أنه يجدر بنا أن نؤكد كل كلمة في هذه الصرخة التي هي أشد الصرخات حزناً وألماً "لماذا". ما هو السبب الجلل لترك الله ابنه في مثل ذلك الوقت وفي مثل تلك الورطة؟ لم يكن ذلك لأي سبب فيه. فلماذا تُرك: "ترك" نعم لقد ترك، وأن السيد- له المجد- يشعر بنتيجة ذلك الترك فيسأل هذا السؤال. فحقيقة هو ترك ومع ذلك- فيا للعجب- لم يكن تهديد الترك الذي جعل ذلك الكفيل العظيم أن يصرخ بشدة بل لقد احتمل نتائج الترك عملياً. أنا أفهم لماذا تعين على يهوذا الخائن وبطرس الرعديد أن يهربا، ولكن أنت يا إلهي يا صديقي المخلص كيف يمكنك أن تتركني؟ أن هذا شر الكل، أجل شر كل هذه معاً. إن جهنم نفسها لتدلع أفظع لهبها لدى انفصال الروح عن الله. "تركتَني" لو كنت ألقيت علي عصا تأديبك لكنتُ احتملت لأن وجهك يضيء؛ أما أن تتركني كلية: آه يا إلهي لماذا هذا. أنا ابنك البريء المطيع المتألم لماذا تركتني أهلك.

إن رؤية النفس بدموع التوبة ورؤية يسوع- وهو يتألم على الصليب- بعين الإيمان لأحسن حل لهذه المعضلة. فقد تُرك يسوع لأن خطايانا قد جعلت حاجزاً بيننا وبين إلهنا".

ولكي نفهم ما هي آلام الجسد والنفس والروح التي تضمنتها صرخة الألم هذه يجدر بنا أن نذكر الظروف التي أحاطت بها. فالصلب كان أفظع عذاب في العالم القديم بل وأقصى عقوبة في قانون العقوبات الروماني. أولاً بالنسبة لوقفة الجسم غير الطبيعية والألم النابض من الأيدي والأرجل المثقوبة بالمسامير والعطش المحموم والضعف التدريجي ثم الموت. إن الصليب كان مظهر فظاعة ورمزاً للعنة الله (غل٣: ١٣وتث٢١: ٢٣). أضف إلى هذا كله التباين البعيد بين قداسة المسيح وبراءته ومهابته الإلهية وبين الاستهزاء المر والتجديف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المريع والازدراء المزري التي كان يقذفها على هذا القتيل العاجز لا الواقفون فقط تحت الصليب بل أيضاً اللصان المعلقان على جانبيه (مت٢٧: ٢٤، لو٢٣: ٣٩). وكان رؤساء الكهنة يقودون الناس في هذا الاستهزاء قائلين: "خلّص آخرين أما نفسه فما يقدر أن يخلصها... قد اتكل على الله فلينقذه الآن". وجواباً على ذلك وقعت ظلمة- ظلمة علوية- على كل هذا المنظر من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة؛ وبعد ظلمة الثلاث ساعات هذه صرخ يسوع بصوت عظيم من أعماق ظلمة ألمه الفرد قائلاً: إلهي، إلهي لماذا....؟

أما ملانكثون وغيره من المصلحين يقولون عن هذه الصرخة إنها برهان على أن المسيح قد اختبر في نفسه البشرية غضب الله ضد الخطية. وغيرهم ومنهم شليرماخر يقولون أنها افتتاح مزمور الرثاء العظيم مع خاتمته السامية التي فاه لها المسيح كبرهان على أنه المسيا. أما ماير فيقول أن ألم المسيح من رفض الناس له- "قد تغلب لحظة على شعوره العميق بشركة اتحاده مع الله"-. أما أولهوسن فيتكلم عن "ترك واقعي مجسم ومؤقت من الله". ويرى الدكتور فيليب شكاف في هذه الصرخة استعادة آلام جثيماني وبلوغ آلام المسيح الكهنوتية أقصى درجاتها "أنه كان اختباراً بشرياً إلهياً عن الخطية والموت في اتصالهما المباشر ومظهرهما العام للناس بواسطة من هو كامل القداسة تام النقاوة، وكان ألماً خفياً لا يوصف للنفس والجسد في انتظارهما الموت العاجل ومصارعتهما الواقعية مع الموت كأجرة الخطية ونهاية كل شقاء الجنس البشري- الأمور التي كان المخلص بريئاً منها ولكنه اتخذها على نفسه طوعاً، بسبب محبته المتناهية لبني آدم.

وبدون الإيمان بأن يسوع قد حمل خطايانا في جسده على الصليب وبدون قبول العنصر الكفاري في موته نرى أن صرخته على الصليب سر غامض لا يمكن تفسيره؛ أما إذا كان يسوع هو حمل الله والله نفسه وضع عليه اثم جميعنا فإنا نقبض بأيدينا على مفتاح سر مثل هذا الألم.

إذا كان موت المسيح هو فقط موت شهيد عظيم لأجل الحق، فإن صرخته لا محل لها البتة؛ ولكن إذا كان قد مات البار لأجل الأثمة، إذا كان قد جُعل خطية لأجلنا، إذاً تكون خطايانا وخطايا كل العالم هي التي أخرجت من صدر الفادي صرخة الألم والوحدة هذه. وما هو الفداء؟ هو الترضية المقدمة لعدل الله من أجل خطايا الناس بواسطة وقوع آلام القصاص النيابي على ابنه الحبيب.

وإذا كان هذا التعريف اللاهوتي لا يرضينا فإنا نرى نفس هذه الحقيقة العظمى واضحة في طقوس الكنيسة لدى تناول العشاء الرباني إحياء لذكرى موته. وهل أجمل من شرح الكنيسة الهولندية المصلحة "نؤمن بأنه سمح لجسده المبارك أن يُسمَّر على الصليب حتى يسمِّر عليه صك خطايانا، ونؤمن أيضاً بأنه اتخذ على نفسه اللعنة التي تستحقها حتى يملأنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ببركاته، وبأنه وضع نفسه لأعمق جزاء وألم الهاوية في كلا النفس والجسد عندما صرخ على خشبة الصليب بصوت عظيم: "إلهي إلهي لماذا تركتني حتى يقبلنا الله ولن يتركنا أبداً".

ونرى نفس هذا المعنى في خاتمة رثاء الشاعرة بروانج على قبر الشاعر كوبر إذ قالت:

مرةً هزَّت دنانا صرخة العمانوئيلْ

صرخةٌ شقت صخوراً دون صوت أو مثيل

ايلي ايلي كيف تركي يا إلهي في المسير

قالها فوق الصليب في أنين المستجير

للعَلا وسط العذابِ عند إتمام الخلاص

بعدها إذا اصطلحنا لن نرى هذا القصاص

لقد "وضع عليه اثم جميعنا" أي الخطية وعارها، الألم والتبكيت، أجل كل عجزنا ونقائصنا، سقطاتنا وذنوبنا، تجاربنا ومعاصينا، تعدياتنا وديوننا وخطايانا، غلطاتنا وجهالاتنا، وأرجاسنا وآثامنا. فينبغي لنا ألا نهرب من النتائج المروعة لهذه الحقيقة المرة إذ لا يمكننا أن نهزأ بكبرياء قلوبنا حتى نتحقق أنه يمكننا المصالحة مع الله فقط "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا"؛ وقد تُرك من الله ليس لأجل خطايانا فقط بل لأجل خطايا كل العالم أيضاً، إذ مرَّ عليه بنوعٍ ما كلُّ خطايا العصور وعارها مع كل أمواجها وتياراتها. وطفت فوق رأسه غِمارٌ، "غمر ينادي غمراً"، غمار الشهوات الدنيئة وظلمة الشعوب، عناد بني إسرائيل وصلابة رقبته، كبرياء نينوى وصور، قساوة مصر وبابل، ظلم المجتمع الإنساني وجرائم الأسواق، البغاء والحروب، خيانات الاسخريوطي وإنكارات بطرس وكل الذين تركوا يسوع، ثم بيلاطس وهيرودس وقيافا، بل كل خطايا البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل ضغطت على نفسه فولدت صرخة الألم.

مات المسيح الخالق الـ أسمى عن الإنسان

فحسناً تحتجب الـشمس عن العيان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قال فورسيث: إن موت المسيح لأعمق من الموت، وآلامه أكثر كثيراً من مجرد الآلام: إنه عمل كفاري. نرى في أطوار عديدة من تاريخ الكنيسة أن أهمية كبرى قد علقت على آلام المسيح؛ ولكن المسألة لا ما تألم به المسيح بل ما أتمه. إن ألم المسيح كان أمراً سامياً لأن المسيح شاء فحوله إلى عمل جليل فكان ذلك الألم الذي قُبل بواسطة الطاعة المقدسة تحت اللعنة القاسية والضربة المميتة التي جلبتها الخطية على رأس الإنسان بموجب قداسة الله وعدله. وهكذا كان الألم ذبيحة لقداسة الله فضلاً عن كونه عقاباً. ولكن العمل الكفاري لم يكن في مقدار الآلام أو شدته بل في طاعة المسيح وقداسته.

ومع ذلك فإن الإنسان ليحجم عن تحليل تلك الصرخة التي فاه بها المسيح فوق الصليب. وهكذا بعد سرد كل ما كان في استطاعة الناس أن يقولوه لفحص مغزى هذه الصرخة فإنها تبقى سراً غامضاً بل سر الكفارة.كيف يستطيع الآب المحب القدير أن يترك ابنه الوحيد. وحيداً في الظلمة العميقة والحاجة المتناهية؟ نعم هناك كثيرون يميلون إلى القول، دون أي تحفظ، أن المسيح كان عرضة لغضب الله، والحقيقة أنه لا يمكن أن يكون ذلك المتألم الإلهي ولو لحظة أو طرفة عين موضوع عدم مسرة الآب، فإنه هو الذي نزل من السماء ليفعل مشيئة الآب ويتمم قصد المحبة الإلهية بفداء عالم ساقط مهما كلفه ذلك شخصياً. بل على النقيض من ذلك لم يكن فكر الآب قط مركَّزاً في الابن برضىً ومحبة مثلما هو مركَّز في هذه اللحظة حتى قال المسيح: "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً". ولم يكن المسيح قط أكثر شعوراً بإتمامه مشيئة الآب وكسب رضائه وعدم إمكان التخلي عنه أو تركه كلية منه في هذه الدقيقة.

ومع ذلك فقد تجمع في صرخة الألم هذه كل وحدة المسيح في أيام تجسده تلك الوحدة التي بلغت أوج علاها على خشبة الصليب حتى يتم القول: "لقد دست المعصرة وحدي".

كان المسيح وحيداً في مهده، وحيداً في سني صمته في مدينة الناصرة، وحيداً في البرية، وحيداً على قمة جبل الصلاة، وحيداً وسط الجماهير، وحيداً على جبل التجلي، وحيداً في حزنه وبكائه على أورشليم، وأكثر الكل وحيداً ومنفرداً في جثيماني والجباثة وعلى جبل الجلجثة. "تركه الجميع وهربوا"، "كرهوني بلا سبب" "على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش أما الرب فسرَّ بأن يسحقه بالحزن".

وهكذا اختبر المسيح ألزم وأعظم عقاب للخطية ألا وهو حجب وجه الله عن البشر.

قال روبرت كيبل لدى كلامه عن وحدة المسيح فوق الصليب: "إني أعتقد أن المسيح قد أعلن بمعنى حقيقي اختبار حياته، ذلك الاختبار الذي احتمله رجل الأوجاع ومختبر الحزن في صمت قلبه. لا شك أن هذا الاختبار قد تجسم على الصليب، ولكن الإنسان الوحيد الذي رفضته الأرض لأنه بلا خطية قد تركه الله إذ جُعِلَ خطية. فيا لعمق سر المحبة التي لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعبر عنها! ويا لانتصار أعجوبة وحدة المسيح! إن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح كان في الساعة التاسعة في وحدة لا يعبَّر عنها وانفصال كلي عن كل الموجودات".

لله مجد في العلا ومجدُه في العمقْ

في قوله كلي العجبْ في فعله محقْ

ما أعجب الحبَّ الذي منه لأجل الناسْ

أردى العدى في شخصه بطاعة وباسْ

حتى لقد قاس لنا آثار مرّ الصلبْ

محتملاً قصاصنا مضاعفاً بقلبْ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع: "هوذا حمل الله"

إن الصليب هو مفتاح الحياة: إننا في الصليب وبه قد وصلنا إلى قرارة الأشياء. إذا استطعنا أن ندرك الألم الذي ينبض فيه استطعنا أن ندرك معنى الحياة نفسها.

إن سر المسيح لهو في روح التضحية البالغ منتهاها بصليبه. وإدراك هذه الحقيقة هو إدراك المسيح، وإدراك حقيقة المسيح هو إدراك حقيقة الله هو إدراك معنى العالم والحياة.

قالصليب إذن هو المفتاح

ستانلي جونس

في كتابه "المسيح في حلقات الدرس"

كتبت إحدى السيدات المنفيات في سبيل المسيح من حلقها النائي في أواسط آسيا تقول:

إنا نتعلم هنا أن نضع الأشياء الأولى وندير دفة أمورنا بحذر وثبات كي نصل إلى غرضنا الوحيد. وأظن أنه ينبغي لنا أن نعمل ذلك في سكون بالنسبة للعالم الخارجي حتى نستطيع أن نفعل شيئاً في هذا العالم الذي وضعنا الرب فيه. لأن لنا الحرية الآن أن نشهد للمسيح، ولكن هذه الحرية قد تؤخذ منا في أية لحظة؛ ولذا يجب أن نكون جد حريصين في استعمالها استعمالاً حسناً.

وهنا ألا يجوز لنا أن نسأل كشهود للمسيح ما هو الغرض الوحيد، ما هو جوهر رسالتنا والحق الأساسي الذي يجب علينا نشره؟ ما هي رسالتنا العظمى الخاصة والضرورية للعالم غير المسيحي؟ أليست هذه الرسالة واضحة في كلمات يوحنا المعمدان بشير العهد الجديد، أن ذلك الصوت الصارخ في البرية كان له رسالة واحدة "هوذا حمل الله".

حُرِم يوحنا حرية الشهادة ليسوع لمَّا أتم فيه سيف هيرودس القاسي عمله؛ ولكن بينما كان ليوحنا حريته كان يضع الأشياء الأولى أولاً.

في السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر عندما كان بيلاطس البنطي حاكماً على اليهودية وهيرودس يحكم الجليل وكلٌ من فيلبس وليسياس يحكم على ربعه وحنان وقيافا يديران عبادة الهيكل والذبيحة اليومية، كان العالم الروماني في ثورة فكرية وقد تعددت الشيع وكثرت الأحزاب ونمت الفلسفات؛ ولكن جميعها لم تكن لتثبت على رجاء حي. ولذا أتت كلمة الرب إلى يوحنا في البرية، وما سمعه من الله جعل يردده صارخاً: "هوذا حمل الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن عبارة "حمل الله" كلقب للمخلّص قد وردت مرتين في إنجيل يوحنا ومرة واحدة في رسالة بطرس الرسول الأولى. والكلمة "خروف"، الواردة في سفر الرؤيا لا أقل من ٢٨ مرة، هي حمل أي خروف صغير. ودرس هذه العبارات يساعدنا على فهم قيمة هذا اللقب العظمى لدى يوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر يسوع وعرف، ربما أكثر من أي رسول آخر، سر محبة المسيح الفادية. إنا في شهادة يوحنا المعمدان للمسيح نرى أول ذكر ليسوع في قوله: "وفي الغد نظر (يوحنا) يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم"، "وفي الغد أيضاً" عند عبرة أو بيت عنيا وراء الأردن "كان واقفاً هو واثنان من تلاميذه فنظر إلى يسوع ماشياً فقال هوذا حمل الله".

على أن بطرس الرسول لا يستعمل هذا اللقب مباشرة بل في كلامه عن افتدائنا من الخطية فيقول: "إنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح". وفي رؤيا يوحنا الحبيب في بطمس نقدُم فجأة (٥: ٥و ٦) إلى الأسد الذي من سبط يهوذا والذي هو أيضاً حمل الله: "ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح". وقد خرت الأربعة الحيوانات والعشرون شيخاً أمام هذا الخروف (٥: ٨) وهم يترنمون ترنيمة جديدة مع ربوات ربوات وألوف ألوف الملائكة الذين يشتركون معهم قائلين بصوت عظيم: "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" وكل خليقة تشترك في ترديد ترنيمة المجد للخروف.

ثم نقرأ أن الخروف فتح واحداً من الختوم السبعة فتتابعت أحكام الله بسرعة حتى صرخت الناس في خوف قائلين للجبال والصخور أن تسقط عليهم وتخفيهم عن غضب الخروف (٦: ١٦). أما المفديون وهم جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده، فقد وقفوا أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض يرنمون له تسبحة الحمد لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم... ويمسح الله كل دمعة من عيونهم (٧: ١٠و ١٧). وبعد ذلك بقليل نقرأ كيف أنهم غلبوا- في الموقعة الأولى ضد المشتكي على الأخوة- بدم الخروف (١٢: ١١) ولأن أسماءهم مكتوبة في سفر حياة الخروف (١٣: ٨). ثم نرى الخروف واقفاً على جبل صهيون (١٤: ١) والأطهار الذين لم يتنجسوا (مع النساء) يتبعونه لأنهم باكورة الذين اشتروا من بين الناس للخروف (١٤: ٤)؛ أما الذين يسجدون للوحش فيعذبون أيضاً أمام هذا الخروف نفسه (١٤: ١٠)؛ والغالبون يرتلون ترنيمة الخروف (١٥: ٣). أما العصاة فسيحاربون الخروف والخروف يغلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك (١٧: ١٤). وبعد ذلك نسمع صوت جمع كثير في السماء مرنميم هللويا لأن عرس الخروف قد جاء "طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف" (١٩: ٧و ٩). وفي الفصول الختامية نرى أن كل المجد قد أُعطي للخروف وهو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. فالمدينة المقدسة هي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"عروس الخروف"، والرسل هم "رسل الخروف"، والخروف هو هيكلها الوحيد (٢١: ٢٢)، ولن يدخلها أحد "إلا المكتوبين في سفر حياة الخروف (٢١: ٢٧)، ونهر ماء الحياة يخرج من عرش الله والخروف لأن عرش الله هو عرش الخروف (٢١: ١- ٣) وهم سينظرون وجهه واسمه (اسم المسيح) على جباههم "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم". فمن يستطيع أن يقاوم هذه البراهين المتراكمة من هذه العبارات ولا يقرّبان يسوع هو حمل الله ومخلص الخطاة، فادي العالم وملك المجد، ديان الجميع ورئيس الشعوب، واحد مع الآب في الجوهر ومساوٍ له في الذات والصفات.

على أن جميع هذه المعاني كانت مستترة في تلك العبارة التي فاه بها أولاً يوحنا المعمدان على شاطئ نهر الأردن عندما رأى ذلك الناصري الطاهر قد أُحصي- في عماده- مع أثمة لكنه مكلل بمجد وبهاء من السماء إذ قال الآب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى٣: ١٧).

ويقيناً ما استعمل يوحنا المعمدان تلك العبارة ألا وهو عالم بمقدار أهميتها لدى سامعيه لأنه لم يكن يتكلم بألغاز بل أشار إلى المسيا من نوع النبوءة والرمز الوارد غالباً في اشعياء ص٥٣ عن عبد يهوه الذي يحمل اثم جميعنا و "كشاة يساق إلى الذبح". وإن جَعْلَ هذه العبارة تشير إلى اتضاع المسيح دون ذكر ذبيحة كفارته إنما هو إخلال بكل العبارات المتشابهة كما لاحظ جوديت بقوله: لا شك أن الفارق العظيم الذي شعر به يوحنا المعمدان بينه وبين المسيح هو الذي قاده إلى تفضيل لقب المسيا هذا على جميع ألقاب المسيا التي وردت عنه في أسفار العهد القديم فقال: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم". وأنه لأمر غريب أن يكون هذا اللقب- حمل- الذي عرف به يوحنا الحبيب يسوع للمرة الأولى هو نفس اللقب الذي فضل تلقيب المسيح به في سفر الرؤيا؛ فإن الوتر الذي كان قد اهتز في هذه الساعة الحاسمة في قرارة نفسه استمر في رنينه إلى آخر نسمة من حياته.

كيف لا وإن موسيقى هذا الوتر كان متناسقاً مع نفس تعاليم المسيح الأولية: إنه قد أتى "ليبذل نفسه فدية عن كثيرين"، و"كما رفع موسى الحية في البرية هكذا يرفع ابن الإنسان" على الصليب لأجل فدائنا. وفي عبادات الكنائس لا نرى اسماً آخر أكثر استعمالاً من قولهم مثلاً:

يا حمل الله ارفع خطايا العالمين امنحنا السلام

يا حمل الله رافع خطايا العالمين ارحمنا الخ.

وفي كتاب "الفردوس" للشاعر الكبير دانتي نسمع أصوات الأرواح ترنم لأجل العفو والمغفرة بنغم واحد وصوت واحد نفس هذه الكلمة "حمل الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن يوحنا المعمدان يلفت الأنظار إلى شخص المسيح بقوله: "هوذا" مستعملاً ضمير الأفراد مع كثرة الحاضرين. وهكذا ينبغي لكل واحد منا أن ينظر شخصياً على يسوع لينتزع عنه خطأه الشخصي مع أنه يرفع خطية العالم "وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً". لم يكن لدى يسوع الناصري ثياب ملكية ولا تاج ملكي إنما كان ابن نجار؛ ولكن يوحنا المعمدان رأى فيه مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً: إنه حمل الله. ونسبته لله نسبة أصلية، فالله أرسل ابنه والله يحب ابنه؛ وفي هذه الكفارة ليس الإنسان الذي يقدم بل الله نفسه الذي يقدم أحسن ما عنده.

قال بيلاطس البنطي "هوذا الإنسان" مشيراً إلى يسوع مكللاً بالشوك وآثار جلده المريع مغطاة بثوب الأرجوان. وقال يوحنا المعمدان عن يسوع بعد عماده وبدء خدمته مباشرة: هوذا الإنسان الذي هو حمل الله.

ومنذ تلك اللحظة إلى الآن والعالم ينظره لأنه يملأ آفاق التاريخ ولن يمكن إخفاؤه. ولكن الناس إما يتفرسون فيه ويبتعدون عنه، أو ينظرون إليه ويتبعونه إلى النهاية.

إن ستدارت كندي الشاعر والكاتب الإنكليزي ببعد نظر عميق يصف لنا يسوع كما يظهر لدى العصريين في هذه الأيام إذ يقول: "إنه يظهر محتقراً كما كان دائماً مع تلك الكنيسة الضعيفة التي صرخت قائلة أوصنا في يوم الأحد وهربت من بستان جثيماني في يوم الجمعة، التي تؤكد بشدة كبطرس ثم تنكره، التي تتشاجر عمن يكون أعظم وتظن أنه من التطرف أن تغسل أقدام التعابى. إنه مرذول كما كان دائماً، إنه نفس المسيح الذي جلس وثوب الأرجوان الوسخ يغطي ظهره الدامي من الجلد وتاج الشوك على مفرق جبينه وقصبة هزء- لا صولجان- في يده وبصاق العسكري السكران يسيل على خديه. إنه نفس المسيح ولكني أنا شخصياً أخاف منه، ورجال جيلنا العصريين وهم أشد بطشاً من الوحوش الكاسرة يخافون منه في قرارة قلوبهم لأن المسيح مزعج وقاهر، نخاف منه لأنه يستأصل منا الاعتماد على الذات ويقتل حدة الكبرياء، إنه يجعل الناس يجثون على أقدامهم أمامه ولا يعمل إنسان عاقل هذا للإنسان بل لله".

إنه الحمل الذي يدبره الله كفارة وذبيحة عن الخطية. وكما تعلمنا الرسالة إلى العبرانيين بكل جلاء أن لنا في يسوع إتمام كل تعاليم العهد القديم عن الدم الذي يكفر عن الخطية، فهو المرموز العظيم لجميع طقوس الذبائح وعبادات البشر، إنه حمل الله الذي هو مشتهى كل الأمم. وإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يتدرج بنا حتى يصل إلى نهاية مدهشة فيقيم مقارنة بين مجد جبل سيناء الذي أعطيت الشريعة الأدبية عليه والمجد الأعظم الذي أوجد من أجلنا على جبل صهيون فيقول: "بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش".

كيف يهب سفك الدم مغفرة الخطية؟ ما هو أصل الذبائح؟ من أين صار لها هذا الذيوع؟- إنا نرى في ديانات الشرقيين وفي العبادات الكفارية عند جميع الشعوب- ثلاثة معاني رئيسية في الكفارة وهي النيابة والرضاء والكفاية. وهذه المعاني تنطبق تماماً على ذبيحة المسيح على الصليب: فالمسيح مات نيابة عنا كما مات الحمل نيابة عن اسحق على جبل المريا؛ وموت المسيح أدى ذلك الرضا عن الخطية وأرضى العدل واشترى العفو كما فعل رش الدم على القائمتين عندما قتل الملاك المهلك أبكار المصريين؛ وموته كفايةٌ لأنه لن يموت بعد بل أتم على الصليب بتقدمته الواحدة "ذبيحة تامة كاملة كافية وتقدمة ورضاء عن خطايا كل العالم.

ويعطينا الدكتور ترمبل في بحثه الشيق عن عهد الدم عند العرب مختصراً مفيداً عن تعاليم الشرقيين الأولين مع مقابلات عديدة من أسفار العهد القديم مبيناً أنه بدون سفك دم لا تحصل- في نظر أولئك القوم- مغفرة ولا صلح داخلي. ولكي نفهم ما عناه يوحنا عندما دعا يسوع "حمل الله" ينبغي لنا أن نقرأ الأسفار التي هي حجر الزاوية لتعاليم العهد الجديد.

والفصح عند اليهود لا يكسر عظم من عظامها. ويوحنا الحبيب هو الذي يشير إلى هذا التفصيل في إتمام النبوءة في وقت الصلب (يو١٩: ٣٦) وقد رأى على الصليب حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

إن بشارتنا للعالم أجمع مستترة في هذه الجملة القصيرة "هوذا حمل الله". لقد أخفى الله ذلك عن العظماء والحكماء ولكنه أعلنه للأطفال؛ فالطالب يجد الجواب الشافي لجميع مشاكله عندما يأتي إلى الصليب ويتفرس في المصلوب.

يقول الرئيس فورسيث "إن الرسل في كل الأدوار لم يفصلوا المصالحة مع الله عن الصليب ودم يسوع المسيح. وإذا نحن فصلناها (وكثيرون يفعلون ذلك اليوم) فإنا نطرح العهد الجديد في اليم. إن الآفة المهلكة في هذه الأيام التي قال عنها أنها أكثر روحانية ما هي إلا محاولة لهدم العهد الجديد ومعه حقيقة المسيحية. إن المنتقدين العصريين والناس الذين يقولون بالفلسفة العالمية والدهريين ومناجي الأرواح هم قوم يرمون عمداً في اليم العهد الجديد بأكمله رغماً عن تقديرهم الشديد لبعض أجزائه".

وعندما يتحدث الناس عن إصلاح نظم الاجتماع العتيقة أو نقل الحياة من النجاسة إلى القداسة دون الصليب فإنهم يتبعون سراباً خدَّاعاً. أجل يصح لنا أن نتفاءل عندما نرى إتمام قصد نعمة الله للعالم ونشاهد فرصاً جديدة وعصوراً حديثة. ولكن عندما جاء يوحنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المعمدان يكرز بالتوبة كان أيضاً قد جاء ملء الزمان؛ فإن انقلابات عظيمة كانت تحدث وقتئذ في جميع أجزاء الإمبراطورية الرومانية بل وفي نفس الكنيسة اليهودية، وكان استعداد كلي وتوقع عظيم لظهور مسيا إذ كان قد عم يأس عميق من النظام العتيق؛ ولكن يوحنا افتتح ذلك العصر الجديد بإعلان فداء جديد: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم".

نحن نريد فداءً من النظام العتيق ولكن ينبغي أن يكون ذلك الفداء بالدم- دم حمل الله رافع خطية العالم.

إن صليب المسيح هو رجاء العالم الوحيدة؛ وخطرنا الداهم هو أن نصرخ: هوذا الفرصة الجديدة، هوذا أنظمتنا الجديدة، هوذا إخاؤنا الجديد؛ وننسى أن نصرخ "هوذا حمل الله".

توجد صورة عجيبة للمسيح على الصليب كرجاء العالم الوحيد يظهر فيها بألوان زاهية شيء من كفاية الفداء وعموميته بطريقة واضحة. وإليكم قصة هذه الصورة الغريبة: "إن بلاتر هيروني الذي تلقى علومه في مدرسة للمرسلية السويدية في أيام الحرب وأعدّ ترجمة جديدة للعهد الجديد باللسان الأمهري وكان أحد رؤساء المحكمة المختلطة في بلاد الحبش كان قد ارتقى في مناصب الدولة حتى أُرسل مندوباً عن الحبشة ليمثلها في معاهدة فرسال. وإذ كان هنالك يتأمل في مستقبل السلام العالمي خطر في فكره أن ذلك لن يتم إلا بذبيحة المسيح الوحيدة، وهكذا تصور عقله الحبشي كيفية إظهار هذه الفكرة بريشة المصور رمزياً. ثم بحث عن فنان باريسي وأوحى إليه رأيه، وكانت النتيجة هذه الصورة الشهيرة للصليب جدّ غريبة في فكرتها وحقيقية في معناها بل جدّ جذابة في رسالتها قاهرة في مبناها، إذ نجد المخلص معلقاً على صليب يستقر على نصفي الكرة الأرضية بين الشرق والغرب ووراءه السماء جد مكفهرة قاتمة وقد حطت حول رأس المتألم المكللة بإكليل الشوك هالة مجده العتيد وهو ينظر إلى كلا العالمين اللذين مات لأجلهما؛ وقطرات الدم السائلة من يديه المثقوبتين قد صَبغت جميع القارات والجزائر بلون الدماء القاني. "صبغة الله، وما أحسنها صبغة!" هذه الصورة هي حقيقة رؤيا كل العالم المفدي بدم المسيح إذ نقرأ في أسفلها ما كتبه المصور في ثلاث لغات:

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن: "صلبوا رب المجد"

إن أحسن عمل هو أن نكرز بالمسيح مصلوباً متيقنين أن هذا وحده يفتح الطريق لشفاء الضمير الجريح ويطهر المؤمن من كل خطية دفينة. والغلبة هي لتلك الكنيسة التي تجدد بغيرة ومحبة وبلا تردد ذلك الاعتراف القديم القائل: "الرب قد وضع عليه اثم جميعنا" وتحوله بكل فرح وابتهاج إلى ترنيمة السموات والأرض "الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين".

الرئيس جون كيرنز

لقد تحقق بولس الرسول أن الكرازة بالمسيح مصلوباً هي "عند الهالكين جهالة" (١كو١: ١٧) وأنها "لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو١: ٢٣). ومع أن هذه الكرازة كلفته فحصاً عميقاً لقلبه وكان من قبلها في ضعف وخوف ورعدة كثيرة فقد عزم على أن لا تكون له رسالة أخرى "إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً" (١كو٢: ٢). ورسالة الصليب هذه عظيمة جداً: إنها تعلن حكمة الله وقوته؛ ولكنها تعلن فقط بواسطة الروح الذي "يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١كو٢: ٢٠). وبمناسبة هذه الفكرة نرى بولس الرسول يستعمل عبارة مدهشة عن عظماء هذا الدهر قائلاً أنهم يجهلون حكمة الله "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨).

وفي خطابه إلى قسوس كنيسة أفسس يستعمل بولس الرسول كلمات أشدَّ جرأة من هذه إذ يقول: "احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (اع٢٠: ٢٨) يعني دم الله.

قد نشمئز نحن من عبارة مدهشة مثل هذه "رب المجد على الصليب" و"دم الله"؛ ولكن مهما حاولنا تخفيفها نرى الأصل اليوناني لا يسمح بغيرها بديلاً.

وكتب القديس اغناطيوس إلى الأفسسيين بعد ذلك بخمسين سنة قائلاً أن المؤمنين قد "اشتعلوا وصاروا ناراً حية بواسطة دم الله". وبعد ذلك بقرن يستعمل القديس ترتليانوس نفس التعبير "دم الله". ومثلها العبارةُ التي كتبها بولس الرسول بعد وقوع حادثة الصلب بأقل من سبع وعشرين سنة: "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد".

من هو رب المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد (مز٢٤: ١٠). ورب المجد في العهدين القديم والجديد معناه ذلك الذي صفته المجد (مز٢٩: ١واع ٧: ٢ وأفسس١: ١٧ ويع٢: ١) أي الرب الذي له المجد حق طبيعي منذ البدء. وهذا التعبير مهم لاهوتياً لأنه يدل صريحاً على لاهوت يسوع. أجل إن معنى العبارات "موت الرب" (الواردة في ١كو١١: ٢٦) و "جسد الرب ودمه" (الواردة في ١كو١١: ٢٧) هو واحد ولكن الألفاظ أقل تشديداً. كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بولس الرسول يرى أن المخلص حتى في أيام تجسده هو الرب الذي له كل المجد كحقه الطبيعي. ويوحنا يرى أن المخلص هو الكلمة الذي صار جسداً وأنه كان في البدء عند الله وكان (الكلمة) الله.

حقاً ليس في السماء أو على الأرض سر أعظم من سر الإله المتألم والمخلص القادر على كل شيء مسمراً على الصليب. ومع ذلك فهذا عين ما تقصده هذه الكلمات وتعنيه، فإنه عند الصليب نرى في المسيح ملء محبة الله ورحمته جسدياً. إنه في هذه النقطة نؤمن نهائياً- كما آمن قائد المئة- بلاهوته. لأن العمل الذي يعمله هو لا يستطيع أحد أن يعمله غير الله، "والنفس التي تربح لله في المسيح".

بل إن المسيح في موته وقيامته هو- لبولس الرسول- مركز الكائنات ومحورها. هو قبل كل شيء وفيه خلق الكل وله خلق لأنه المصدر الأصلي لكل خليقة. الكل به لأنه مبدأ وحدتها، وفيه يقوم الكل لأنه غايتها وهو مفتاح جميع أسرارها (كو١: ١٣- ١٨).

يقول جون كوردلييه اللاهوتي الكاثوليكي إيماء لهذه العبارة الجليلة عن لاهوت المسيح ابن محبته الذي لنا فيه الفداء ما يأتي: إذا كان الصليب شيئاً على الإطلاق فهو رسم الخليقة. إنه يمتد من سديم إلى سديم موصلاً أبعد أركان العالم ماداً لها يدي المحبة المثقوبتين. إن كل تقدم إنما ينتج عن تصادم محبته مع الألم الذي هو سر قلبه؛ وإن عذابه السري لهو أساس مسراتنا ومصدر أفراحنا كافة. وأستغرب أن يكون أي عالمٍ بأسباب الحياة وأحوالها غير مسيحي لأنه يرى في كل شيء أعمق رمز للمسيحية أي الصليب منقوشاً في نفس أساسات مملكة الحياة. ويرى الألم والعناء وتضحية الفرد أمراً لازماً لعمليات التناسل اليومية كما أنه ضروري للجنس في نمائه البطيء إلى الكمال. انظر إلى العلاء، انظر على الأعماق، انظر داخلاً، انظر خارجاً تجد الصليب في كل مكان.

عُلِّق الفادي على عود صلبٍ وأُهين

كل هزءٍ حملا وهو ربُّ العالمين

اسلم الروح وقد مات من أجل الخطاة

ملك الكون رقد وهو سلطان الحياة

دفن المحيي الرميم في ضريح كالبشر

واختفى الدر النظيم ضمن مختوم الحجر

حاملاً ما حمله لازماً كان لنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فتعالى فضله إذ فدانا كلنا

بل اليوم هذا ثم في الليل بعده

تلاقى عذباً بل وصلباً لأجلنا

فهبني لسيري قبس نورٍ لحزنكا

وهبني لستري ظلّ صلب غدا لكا

وهبني عزاء بعض مجد بفضلكا

لأنسى إلهي مر عار لأجلكا

فنحن لا نرى فقط في موت المسيح ظهور محبة الله العظمى بل نرى فيه أيضاً حزنه الكلي وعطفه الكامل. وإنا نقرأ "كما يترأف الأب على البنين" في نفس المزمور الذي ينبئنا أنه "كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا" إذ على الصليب اختلطت المحبة مع الحزن وسالتا معاً- حزن الله ومحبة الله.

إن عقيدة الكفارة المسيحية مبنية على أساس عقيدة لاهوت المسيح، فإيماننا في الثانية يعين يقيننا في الأولى إذ لا يستطيع الإنسان المجرد أن يحمل قصاص خطية إنسان آخر. وجميع الاعتراضات على ذبيحة المسيح الكفارية تختفي أمام هذه الحقيقة العظمى لجلال شخص المخلص. ويقول الدكتور ماتشن: حقيقة أن المسيح الذي يقدمه لنا العصريون اليوم لا يمكن أن يكون قد تألم عن خطايا الآخرين ولكن الحالة تختلف جداً بالنسبة إلى رب المجد.

وإذا كانت فكرة الفداء الكفارية مستحيلة كما يظن بعضهم فماذا نقول عن الاختبار المسيحي المبني عليها؟ إن الكنيسة الحديثة مغرمة بالالتجاء إلى الاختبار ولكن أين يمكن وجود ذلك الاختبار المسيحي الصحيح إلا في ذلك السلام المبارك الذي ينبع من الصليب؟ وهذا السلام إنما يأتي عندما يرى الإنسان أن كل مجهوداته للصلح مع الله وكل محاولاته أن يحفظ الناموس قبل أن يستطيع الخلاص غير ضرورية، وأن يسوع المسيح قد محا الصك الذي عليه بموته بدلاً عنه على خشبة العار. ومن يستطيع أن يقيس عمق السلام والفرح اللذين يحصل عليهما الإنسان من هذه المعرفة المباركة؟ فهل هذا خيال وهمي أو نظرية تصورية لفداء الجنس البشري أم هو نفس حق الله؟".

إن بولس الرسول عندما يتكلم عن يسوع المسيح كمتألم على الصليب بمثل العبارات التي أوردناها آنفاً إنما يتناول حقائق سامية يدعوها "أعماق الله" (١كو٢: ١٠) لأن هذه الأمور عميقة جداً حتى أعجزت الفلسفة البشرية، وهي أسمى من أن ينالها العقل البشري بالإدراك.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن بعض الأجرام السماوية وبعض النجوم لن تكشف سرها حتى لأعظم النظارات المقربة وهذه الأمور "ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم تخطر على بال ولكن الله أعلنها" حتى للأطفال بروحه القدوس. ومع أننا لا نستطيع إدراكها فإنا نستطيع- على الأقل- أن نخرّ على جباهنا بكل تواضع وشكر ونقول:

"حين أرى صليب من قضى فحاز الانتصار

ربحي أرى خسارة وكل مجد الكون عار"

لم يحدث على الصليب أي انفصال بين طبيعتي المسيح: إن ناسوته الحقيقي ولاهوته الحقيقي لم يكونا مختلطين ولا ممتزجين بل كانا متميزين وحاضرين فعلاً، إذ "أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه". فالذبيحة لم تكن الإنسان في المسيح مراضياً الله بل الله في المسيح مصالحاً الإنسان، وبمعنى آخر مصالحاً نفسه. ولم يكن موت المسيح موت بطل أو شهيد إطاعة لإرادة الله بل موت ابن الله لأجل خطايا العالم. في موته أظهر المسيح مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً. لأن الفداء كان عمل اللاهوت جميعاً لأنه- هكذا أحب الله (الآب) العالم حتى بذل الله (الابن) الذي وضع نفسه لأجل الآخرين. والله (الروح القدس) ملأ يسوع بحضرته وقوته حتى يحتمل مثل هذا الموت ثم انتصر عليه بقيامته المجيدة (رو١: ٤).

فليس فقط في بيت لحم بل عند الصليب أيضاً نرنم مع الملائكة: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.

ولذلك- كما يقول فورسيث- "نحن نستعمل الكلمات- إلى ملء معناها- إن الله كان في المسيح مصالحاً ليس مصالحاً بالمسيح بل حاضراً فعلاً بالمسيح في المصالحة، وعاملاً بالمسيح عمله نفسه في المصالحة. فالمصالحة تمت باللاهوت جميعاً وليس بالابن وحده. ولقد كان لآباء الكنيسة كل الحق في إصرارهم على أن عمل الفداء كان عمل الثالوث بأكمله- أي الآب والابن والروح القدس. ونحن نعبر عن ذلك عندما نعمّد إلى حياة المسيحية الجديدة بالاسم المثلث".

غير أنه يجب علينا أن نزداد تعمقاً في ذلك إذا أردنا أن نعرف شيئاً عن هذا السر إذ ينبغي ألاَّ يبقى هذا مجرد عقيدة بل أن يكون اختباراً واقعياً، فنحن صلبنا رب المجد ونحن اشترينا بدمه.

والآن فاسمع أحد الكتَّاب وهو يتأمل في هزيع الليل أمام الصليب إذ يقول: "ماذا صنعت يا يسوع يا أحلى البشر وأعز الأصدقاء حتى تعامل هكذا؟... أنا هو تلك اللطمة التي آلمتك، أنا مسبب موتك، أنا الذي اشتغلت لعذابك". ثم يشير إلينا بكلمات لا تزال ترن بوضوح في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قلوبنا قائلاً: "ضع كل اعتمادك نهائياً على موته لا تثق في شيء عداه بل ثق كلية في ذلك الموت، استر نفسك كلية في ذلك وحده، بل لفّ نفسك كلية في ذلك الموت". واسمع قول الفيلسوف العلامة برنار: "أن أعظم فلسفتي هي أن أعرف يسوع ويسوع مصلوباً لأن الصليب هو موضع ملتقى الحبيبين". ثم انصت إلى صلاة فرنسيس الأسيزي يقول: "أي ربي يسوع المسيح نعمتين ألتمس منك قبل أن أموت: الأولى أن أشعر في حياتي، في روحي وفي جسدي بقدر الإمكان بذلك الألم الذي شعرت به أيها السيد في أشد ساعات ألمك مرارة. والثانية أن أشعر في قلبي بقدر الإمكان بتلك المحبة العجيبة التي اضطرمت في قلبك يا ابن الله حتى احتملت باختيارك مثل ذلك الألم لأجلنا نحن الخطاة".

ثم أن موت المسيح يختلف كلية عن موت باقي الأنبياء والشهداء من عدة وجوه؛ فالأنبياء تنبأوا بموته، وموته كان كفارة عن الخطية. وقد رافق موته استعلانات خارقة للعادة، وأعقبه قهر الموت والقيامة. ولكن نقطة الخلاف الحقيقية هي في شخص الذي مات. فإن هذا لم يكن غير ابن الله" الذي فيه حل ملء اللاهوت جسدياً لأن الكلمة صار جسداً وصلب لأجلنا.

دما العلي قد سالتْ فوق ذرى الصليبْ

كذا يقول الوحي فاقبل فدى الحبيب

يا أيها التعبان تضل للمدى

إن تنتظرْ بعقلك إدراك ذا الفدى

يا أجهل الأناسي كيف تُرى تريد

بغير صلب المولى أبطال ذا الوعيد؟

أو كيف تستطيع إدراك فعل الله

وهو العلي المستعلي يا أحقر الخطاة

دما العلي قد سالت لينقذ الفجار

فاهرب إليه تنج شرّ القضا والنار

أو فانتظر بعيداً حتى ترى الهلاك

أدنى لام رأسكْ من فعل من فداك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بل فاستح يا أبلهْ وانظر لكي ترى

ما أدهش الأفلاكا وحير الورى

من ثم آمن تواً ولا تكن فاجر

بل قربه تعالا فهو الغني القادر

فقد ظهر على الصليب أعظم شيء في الخليقة وهو المحبة وأشنع سر في العالم وهو الخطية وأسمى صفة من صفات الله وهي القداسة "لأنه جعل الذي لم يعرف خطيةً لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه".

في الكتاب الذي نشر حديثاً عن حياة الدكتور كَلِيْ كران كترجي (أحد زعماء مبشري الهند مدة ثماني وأربعين سنة خلت ومن أعمدة الكنيسة الهندية) نقرأ الشهادة التالية:

"طالما سُئلت لِمّ طلّقت ديانتي الهندوسية وصرت تلميذاً للمسيح؟ والجواب أني قد جذبت دون شعور تقريباً إلى شخص المخلص بحياته الطاهرة النقية وطاعته لإرادة الله وأعمال الخير والرحمة التي صنعها لتخفيف آلام الإنسانية المعذبة. ثم أن تعاليمه كما جاءت في الموعظة على الجبل ومحبته للخطاة قد ملكت إعجابي وخلبت لبي فأعجبت به وأحببته. أما معنى التجسد فكنت قد تعلمت أن أعبده في ديانتي السابقة. وقد ظهر لي المسيح أنه وحده مثل الله في القداسة وحقيق بالعبادة مثل الله. ولكن العقيدة التي اضطرتني أن أعتنق المسيحية وأعلن على رؤوس الأشهاد إيماني هي عقيدة آلام المسيح وموته الكفاري. فقد شعرت بأني خاطئ ووجدت في المسيح شخصياً مات عن خطاياي وحمل العقاب المستوجب عن معاصيَّ. "لأنكم بالنعمة (أنتم) مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد". وكان هذا موضوع تأمل قلبي أن المسيح مات وبموته قد قضى ديناً لا يستطيع الإنسان أن يفيه. وهذا الاعتقاد الذي ازداد قوة بعد قوة بنموي في الحياة المسيحية وزيادة اختباري فيها صار الآن جزءاً من حياتي لأنه الحد الفاصل بين المسيحية وجميع الأديان الأخرى. لقد شعرت بذلك عندما صرت مسيحياً، والآن أشعر به بأقصى قوة". ليس الموت الكفاري فقط هو العلامة الفارقة بين الديانة المسيحية وجميع الديانات الأخرى بل موت مخلص هو علامة فارقة أيضاً. فإن كل شيء يتوقف على طبيعة وأخلاق الشخص الذي يدفع البدل الكافي. والعلاّمة انسلموس في كتابه "لماذا تجسد الكلمة" الذي هو أعمق وأوضح كتاب منطقي ظهر في القرن الحادي عشر يقول: "إن حياة الإله الإنسان هي أعظم بما لا يقاس من تلك الخطايا التي يفوقها موته بأبعد مما يتصور... إني أفضل حمل كل آثام العالم الحاضر والماضي والآتي أيضاً على أن أرتكب تلك الخطية، بل أرى أن أؤثر ذلك على أدنى أذى يلم به بسببي فضلاً عن صلب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رب المجد". ويقول في موضع آخر: لا يستطيع إيفاء مطاليب الله غير الله؛ ولكن الإنسان قد أخطأ فينبغي أن يقوم هو بالإيفاء عن خطية الإنسان، إذاً فمن الضروري أن يكون القائم بذلك إلهاً وإنساناً معاً. وهذه الحقائق العميقة إنما نراها في نفس قوانين الإيمان المستعملة في العبادة الجمهورية كما نراها في ترانيم الكنيسة المسيحية.

لا سواه كان يُرضى أو يفي عدل الإله

لا ملاكاً لا نبياً ينشل القوم الخطاه

لا سواه كان يفتحْ للملا باب السما

ثم يدعونا إليه للسرور وإلهنا

نعم إن الإنسان الطبيعي يكره العبارات العقائدية ولكن لا شيء يعمق فينا روح الخشوع وينقذنا من روح الاستخفاف في الصلاة مثل التأمل في هذه الحقائق الجليلة؟ عندما تفهم قوانين الإيمان وأصوله فهماً صحيحاً وتدرس درساً لاهوتياً تقرب إلى القلب والعقل، إلى المخيلة والفهم. حقيقةً أن التأمل في "أعماق الله" في الكتاب المقدس لمن الصعوبة بمكان؛ وقد يظهر مبدئياً أنه شيء جاف ولكنه مثل التمرن على الأنغام في درجات السلم الموسيقي: عاجلاً أم آجلاً تنتظم درجات العقيدة وتكون لحناً روحياً لذيذاً. ومن يثابر يعرف "عمق غنى الله وحكمته وعلمه".

وهكذا نرجع ثانية إلى كلمات بولس الرسول القائلة: "صلبوا رب المجد" و "كنيسة الله التي اقتناها بدمه".

في شخص يسوع طبيعتان: اللاهوتية الكاملة والناسوتية الكاملة متحدتان فيه، ولكن دون اختلاط بين الطبيعتين. فالله قد تألم على الصليب ليس في طبيعة الله بل في طبيعة الإنسان. لأنه كما يلاحظ هوكر: "عندما يقول الرسول عن اليهود أنهم صلبوا رب المجد (١كو٢: ٨) ينبغي لنا أن نفهم منه أن كل شخصية المسيح الذي هو رب المجد قد صلب حقيقة ولكن ليس في تلك الطبيعة التي دعي من أجلها رب المجد. كذلك عندما يقرر ابن الإنسان- وهو على الأرض- أن ابن الإنسان كان في تلك اللحظة في السماء (يو٣: ١٣) أن معنى ابن الإنسان هو بالضرورة كل شخصية المسيح الذي وهو على الأرض كان يملأ بمجده السماء ولكن ليس في تلك الطبيعة التي سمي من أجلها ابن الإنسان".

ويسوع المسيح نفسه أدى أمام رئيس الكهنة قبل أن يقضي عليه بالموت أقوى اعتراف ممكن عن حقيقة لاهوته وناسوته. وقد ورد هذا الإقرار في الأناجيل (انظرمت٢٦: ٦٤ ومر١٤: ٦٢ ولوقا٢٢: ٧٠) "وأما يسوع فكان ساكتاً. فقام رئيس الكهنة وقال له أما تجيب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بشيء؟.... استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت (وفي إنجيل مرقس ورد قوله- أنا هو ومن الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء).فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدّف... إنه مستوجب الموت حينئذ بصقوا في وجهه.... ما حاجتنا بعد إلى شهود لأننا نحن سمعنا من فمه".

ولكن لم يفهم منهم أحد كما يقول بولس الرسول "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد". ويقول اللاهوتي العظيم ليون الكبير "لقد اجتمعت في شخص فادينا طبيعتان؛ ومع بقاء خواص كل من هاتين الطبيعتين فقد كان اتحادهما هكذا وثيقاً حتى أنه من تلك اللحظة التي صار فيها الكلمة جسداً في رحم مريم العذراء لا نستطيع أن نفتكر فيه كإله من دون ذلك الذي هو إنسان أو كإنسان دون ذلك الذي هو الله. وكل طبيعة تشهد لحقيقتها بأعمال خاصة ولكن لا تفصل إحدى طبيعته نفسها عن الأخرى. لا تقصير من إحداهما للأخرى. بل ضعف كامل في العظمة وعظمة كاملة في الضعف. لأن الاتحاد لا يوجد التشويش ولا يفصم النظام عرى الاتحاد. قد كان في المسيح (طبيعة) تقبل الألم وأخرى غير قابلة له. مع ذلك فاحتقاره كان احتقار من له المجد وضعفه كان ضعف من له القوة. نفس الشخص الواحد قابل الموت وقاهر له. فالله إذاً قد لبس الناسوت الكامل واتحد نفسه فيه والإنسان في نفسه في الضعف والقوة حتى أن كل طبيعة كانت في الأخرى. لكن لم تفقد الواحدة خواصها في الأخرى".

وهكذا في موت يسوع المسيح على الصليب تتبدل آلام الجسد وعاره إلى آلام إلهية بسبب اللاهوت المتحد مع جسد وروح الناسوت الاتحاد المتبادل. أجل إن الآلام غير محدودة لأن شخص المسيح غير محدود إن "ابن الله أحبني وأسلم نفسه لأجلي" والله اقتنى الكنيسة بدمه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع: "أراهم يديه"

رب هبني من جراحك قوة كي أحتمل

عندما تدمى يدي أو أرى "النير" ثقل

مد لي كلتا يديكا ثم لي قل ذا المقال:

"قوتي في الضعف تكمل" قم وأسرع في القتال!

إن رأيت الضعف أوهى عزمتي وسط الجهاد

أو رأيت اليأس أوحى لي هروباً من جلاد

من لي رجلي شخصك كي أرى ثقب الحديد

ثم قل لي: قم تعال لا تكن غراً عنيد

آه ربي كيف أخجل أن ترى هذي اليدا

أو ترى إبطاء رجلي عن لحاق بالعدى

برنتون ثوبرن بادلي

يشير بولس الرسول في رسالته إلى أهل فيلبي إلى مراحل نموه في الصداقة لشخص يسوع. فإن معرفته بالمسيح أتت عن مصادر مؤلمة من الأعداء والأحباب على السواء. ثم في طريقه إلى دمشق رأى المسيح واختبر "قوة قيامته" وفي ما بعد صارت له الحياة هي المسيح وأخيراً يتكلم عن "شركة آلامه" كالغرض الأخير لهذه الشركة لكي يتمثل به في حياة تضحيته ويشاركه في كأس آلامه ثم في موته لأجل الآخرين.

وهكذا حبيب المسيح يرى أن ظل الصليب هو أطول ظل في العالم، إنه يمتد إلى جميع العصور وسائر الأقطار بل ويقع حتى على صباح يوم قيامة المسيح.

"سلام لكم ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه" إن يسوع المسيح لن يخبئ آثار جراحه كي يربح تلاميذ. إنه يحمل في جسده الممجد آثار آلامه وهذه تثبت حقيقة شخصيته وتعلن غلبته، وهي شارة سلطانه كمخلص وملك. "ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وقد أفلح ثرْ ولدسن النحات الدانيماركي في إظهار هذا المنظر الجليل على الرخام حيث ترى واقفاً في وسط الكنيسة الكبرى في كوبنهاجن هذا التمثال المرمري للمسيح المقام، بيدين ممدودتين وقد ظهر فيهما آثار ثقب المسامير وهو يرسل تلاميذه برسالة السلام هذه. وعلى كل جانب من جانبي الكنيسة ترى ستة أشخاص يمثلون التلاميذ الإثني عشر. وقد أخذ بولس بينهم محل يهوذا الاسخريوطي. وإن رؤية هذه الجماعة كما هي ممثلة في هذه الكنيسة لتترك أثراً عميقاً في العقل والقلب إذ ترى مسيحاً- لا على الصليب بل على أهبة الجلوس على العرش بالرغم عما ترى فيه من آثار المسامير والحربة. وقد قبض ذلك النحات الماهر على ناصية تلك الرسالة المزدوجة التي خرجت من شفتي المسيح كما وردت في إنجيل يوحنا "سلام لكم" "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا". لأن الصليب ليس علامة الكفارة فقط، بل مثَل القدوة أيضاً، إنه يهمس بالسلام في الداخل، ولكنه يدعو إلى الجهاد في الخارج، إن فيه دافعَ العمل، كما أن فيه رسالة السلام. وإن الذين أتيح لهم مرة رؤية الصليب في آثار جراح المسيح لن يستطيعوا أن يبقوا كما كانوا قبلاً: وهو (المسيح) مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام". فنحن لنا سلام بدمه ورسولية بقدوته.

وعجيب أن تكون آثار جراح المسيح هي الشيء الوحيد الذي أراه لتلاميذه بعد قيامته. بآثار جراحه عرفه التلميذان عند كسره الخبز في عمواس بعدما عجزا أن يعرفا هيئته أو يتعرفا إلى وجهه وصوته. بآثار جراحه أثبت للتلاميذ العشرة حقيقة شخصيته وأقنعهم بحقيقة قيامته. بآثار جراحه نبذ توما عدم إيمانه بعد ذلك بثمانية أيام وصرخ "ربي وإلهي". وأخيراً فإن جراح يديه وجنبه لهي عربون وخاتم سلامنا مع الله ودعوتنا للخدمة والتضحية دعوة لا تقاوم.

إن هين الشاعر الألماني يصور لنا آلهة العالم القديم وهم جلوس على عروشهم يتسامرون ويتفاخرون على عالم مستعبد؛ وإذا بفلاح حقير يدخل بغتة إلى مأدبة الآلهة وهو يترنح تحت صليب ثقيل فيلقيه بغضب على المائدة ويخرج، وعندئذ تيأس جميع آلهة الشهوة والظلم وتموت. إن آلهة العالم القديم هي كملاذ العالم الحاضر. وعندما يلقي المسيح صليبه في حياة أي شخص تموت كل شهوة الملاذ الكاذبة القديمة، وعلى أنقاضها تقوم حياة عجيبة جديدة أساسها اللذات المقدسة الأبدية.

ولنا في الإنجيل رسالة رباعية الهيئة من فم المسيح نفسه. فمتَّى ينبئنا بالسبب: لماذا يجب علينا أن نتلمذ جميع الأمم "دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا"؛ ومرقس ينبئنا بالمكان: أين ينبغي أن نكرز "اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"؛ ولوقا الطبيب يبين لنا ترتيب الكرازة: "بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم"؛ أما يوحنا فإنه يضرب على نغمة أعمق ويعلن لنا تلك الروح التي ينبغي أن تسود وتسيطر علينا "كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أرسلني الآب أرسلكم أنا" "ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله". فنحن ينبغي لنا أن نشاركه في مهمته تحت نفس السلطة بنفس الرسالة محتملين أيضاً الآلام. كما يقول يوحنا الحبيب ببساطة مدهشة "إن ذاك وضع نفسه لأجلنا فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الأخوة".

إن الصليب هو المحرك العظيم للخدمة؛ فليس على يسوع أن يُرى غير آثار جراحه ليربح لنفسه شهداء لدينه. "عندما ينظرون إليّ (أنا- أي المسيح) الذي طعنوه" "فيقول له ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول هي التي جرحت بها في بيت أحبائي" (زك١٢: ١٠و ١٣: ٦).

ولما ظهر يسوع المسيح لشاول في طريقه على دمشق لا شك أن هذا قد رأى أيضاً آثار المسامير والحربة وسط النور الذي أبرق حوله بغتة من السماء قائلاً "لماذا تضطهدني؟"- أنا يسوع الذي أنت تضطهده"... "لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي". فلا عجب أن بولس الرسول يستعمل في اليونانية- عند كلامه عن خدمة الرسولية وآلام المسيح- كلمة غريبة لم ترد غير مرة أخرى في أسفار العهد الجديد وذلك في إنجيل لوقا عن الأرملة المسكينة التي ألقت في الخزانة من "أعوازها ألقت كل المعيشة التي لها" إذ يقول "الآن افرح في آلامي لأجلكم وأكمل نقائص (أعواز) شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة".

إن الألم كان لليهودي معضلة يجب حلها. أما للمسيحي فصار امتيازاً يجب الاشتراك فيه. فشاول اليهودي واجه مشكلة الألم في روح أيوب وأصحابه الثلاثة فكانت معضلة لا تحل. أما بولس المسيحي فقط رأى آثار جروح المسيح وتحقق أن خادم الله قد جرح لأجل معاصينا وسحق لأجل آثامنا ولذلك فإنه يكتب في رسالته: "لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح".

إن مجد المسيح المقام لأجلنا هو أن نعرف آثار جراحه وأن نضع أصابعنا مع توما في أثر المسامير ثم نقول "الآن تطلق عبدك يا سيد بسلام. لأن عيني قد أبصرتا خلاصك" "ربي وإلهي". ألا يكون هذا أعظم فرح وأعمق اختبار لدى القديسين في المجد أن يركعوا ويروا آثار الجراح؟ فإن مريم لم تر في قدمي السيد عندما مسحتهما بالطيب آثار المسامير حتى تقبلها. بل إن هذه الآثار هي الأشياء التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها ولكنهم يخبئون وجوههم عندما ينظرون إلى جلال هذه المحبة وسر الفداء.

توجوا رب المحبة وانظروا الجرح بحربة

قد زهى في جبنِه

انظروا كلتا اليدين للفدا مثقوبتين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للورى من حبهِ

فالملاك في السماء إذ يرى ربّ الفداء

قد علا في عرشهِ

العين منه تُحسر والفزع منه يظهر

لدى جراح ربهِ

"أراهم يديه" هل أراكهما؟ لقد صرف فرنسيس الأسيسي ساعات طويلة للتأمل في آثار جراح المسيح حتى حمل في جسده "سمات الرب يسوع".

"عندما أراد القديس برنارد الأسيسي أن يتبع القديس فرنسيس قرّ رأيهما على وجوب الذهاب إلى بيت الأسقف وسماع القداس. فقال القديس فرنسيس بعد ذلك- نظل في الصلاة حتى الفجر طالبين من الله لدى فتح كتابه ثلاث مرات أن يرشدنا إلى الطريق التي يسره أن نتبعها".

فظهر في المرة الأولى تلك الكلمات التي قالها السيد المسيح لذلك الشاب الذي سأله عن الطريق إلى الكمال: "إذا أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء... وتعال اتبعني" (مت١٩: ٢١).

وفي المرة الثانية ظهرت تلك الكلمات التي قالها المسيح للرسل عندما أرسلهم ليكرزوا: "لا تحملوا شيئاً للطريق لا عصاً ولا مزوداً ولا خبزاً ولا فضة" (لو٩: ٣) وفي المرة الثالثة ظهرت تلك الكلمات الواردة في إنجيل مرقس البشير (ص٨: ٣٤) "من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني".

فقال القديس فرنسيس لبرنارد: "هوذا النصيحة التي يسديكها يسوع. فاذهب إذاً واعمل بما قرأت ومبارك هو ربنا يسوع المسيح الذي قد تفضل وأرانا الطريق لنعيش حسب إنجيله الشريف".

وهكذا كرّس هو وأخوته نفوسهم لخدمة الرب يسوع ذاهبين إلى مساكن المرضى وزائرين أماكن المعوزين مبشرين بالإنجيل. وكانت دائرة تبشيرهم تتسع تدريجياً حتى شملت الهراطقة وفوق ذلك فإن خلو باله من مشاغل العالم وفرحه في الخدمة وتواضعه في المعيشة وبساطته بل محبته للخليقة وشغفه العميق بخلاص بني آدم- هذه جميعها كانت سمات الرب يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ألمس اليوم الحقيرْ لمسةً من يدكا

واملأِ العيش المرير نعمة من عندكا

أعط للنفس سرور وامنح القلب العزاءْ

واقبلني يا قدير عندما أغشى السماء

"ثقبوا يديه ورجليه" وفي جسده الممجد تبقى هذه الآثار لأنها دعوة للتتلمذ وامتحان أمانة كل من يدعو نفسه مسيحياً.

حقيقة ما أصعب اتباع المسيح لأن مطاليبه صلبة وثابتة ولن يستطيع أحد أن يتتلمذ للمسيح إلا إذا ترك كل ما له؛ ومن لا يحتمل الصليب لا يلبس الإكليل.

إن يسوع المسيح لم يقل أنه شجرة البلوط أو شجرة الزيتون ولا حتى شجرة الرز بل قال أنه "الكرمة الحقيقية" وهي الشجرة الوحيدة التي تربط بالوتد وتدمى لتبارك. وكل غصن منها يحتاج إلى سكين المقلم وحيث يعمَّق جرح الغصن هناك فقط أمل بازدهار العناقيد.

إننا مدعوون إلى شركة المسيح ولكنها شركة آلام. والأرض هي الميدان المختار منذ الدهور للموقعة الحربية، الأخيرة بين قوات النور وقوات الظلمة.

ولما صاغ ربي في يديه شموساً ثم أقمار الفضاء

كذا الأرض التي نحن عليها حياها بين أجرام الفضاء

لكي تبقى مكاناً للذبيح وحيد الله خلاق السماء

إن شركة آلام المسيح هي الخلافة الرسولية الحقة. إن دم الشهداء هو بذار الكنيسة في كل عصر ومصر. وقد قال بولس الرسول "في ما بعد لا يجلب أحد عليّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات (آثار جراح) الرب يسوع".

المسيح ابن المبارك قد أرسلني كي أبشر

في أقاصي الأرض أمشي واسمه القوم أخبر

مسحتي في أن أنادي قسمتي أدعو الجموعا

أقبلوا نحو المخلص واقبلوا الرب يسوعا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن ترجمة حياة داود لفنجستون وهنري مارتن وماري سليسر وجيمس جلمور وكيث فلكونر لتحمل جميعها آثار المسامير. فعندما تحبط خططنا أو تخيب آمالنا، عندما تزول أحلامنا أو نهرق الدم في تنفيذ قراراتنا، عندما تنقلب مسراتنا أحزاناً ونحن نعاني شيئاً من آلام جثيماني أو الجلجثة، ما هذه جميعها سوى حملنا للصليب واتباعنا للمسيح. إن تمهل الله عن استجابة الصلوات وتضحية النفس الداخلية بل الانفراد باحتمال أثقال القيادة هذه جميعها جزء من علامات البنين المتألمين، والنغول ليس لهم شركة فيها.

"حاملين في الجسد كل حين اماتة الرب يسوع" "في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام للمسيح في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في اتعاب في اسهار في أصوام".

إذا المرء لم يشرب من الحزن كأسه

وتدمِ المآقي من دموع الفواجع

ويقضي الليالي ساهراً من تفجعٍ

ويهزأ بأنفس الروح وسط المعامع

ولم يذكِ حرباً هازماً قوة العدى

ولم يود خوف الروح بالمواقع

فما ذاق طعماً للسرور المقدس

ولا نال ظفراً خيفةً من مفازع

وخير "له الأخرى" فما كانت الدنا

مقام ثبوت بل مقام تنازع

وما كانت الدنيا مكاناً لهالعٍ

يهاب المنايا أو سعير المدافع

إن السماء لها اثنا عشر باباً وأسماء الاثني عشر الذين تظهر أسماؤهم على أساسات المدينة المقدسة جميعهم يحملون سمات الرب يسوع "وكل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة" واللؤلؤ بين الجواهر رمز الألم والتضحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كتب أحد خدام الإنجيل في كشمير الدعاء التالي عن تسليم الجسد وكل ما له ليسوع المسيح:

"هنا نقدم لخدمتك أيها السيد اللحم والعظم والعصب. لقد وهبتنا الهيكل البشري فعلمنا أن نستعمله لأجلك كآلة صحيحة تسلمناها منك كأمانة لنحفظها ونحافظ عليها لأجل أغراضك أنت. علمنا أن نستعملها بشدة وقساوة ولكن دون أن نسيء استعمالها أبداً. وعندما تبلى ببطء أو بسرعة هبنا سرور اليقين بأنها إنما تبلى لأجلك ومنك آمين".

فهل نستطيع أن نجعل هذه الطلبة صلاتنا يومياً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل العاشر: "قوة قيامته"

إن المسيح سابقنا العظيم يقهر الموت ويفتح الأبواب المغلقة التي تفصلنا عن الأبدية ويدع الروح تمر.

إن الحكمة الأزلية بذهابه عن طريق الصليب والقبر إلى جو الحقيقة قد أرانا هذا الممر- هذا السر وأعطانا كلمة قدرته التي هي مفتاح العالم الروحي. وما أقل ما فعله نور العالم لنا إذ عجز عن أن يضيء لنا ظلمة القبر وعن أن يقلل أمامنا فزع الموت.

"هلموا انظروا الموضع الذي كان المحبة الكاملة مضطجعاً فيه"

جون كوردليير

في كتابه: "الطريق إلى الحكمة الأبدية"

توجد صورة بديعة للمصور أوجين برناند اسمها "سبت اليأس" وهي تمثل التلاميذ الأحد عشر وهم مجتمعون معاً والأبواب مغلقة بسبب الخوف من اليهود ولكن لا تعلو وجوههم بسمة الرجاء ولا يضيء ملامحهم نور الأمل. فالمسيح في القبر ومعه دُفنت آمالهم؛ ولذلك فهم يقولون: "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل". كنا نرجو، أما الآن فقد ذهب رجاؤنا هباء. لقد رأينا قوته ومجده بجانب البحيرة في الجليل، كما شاهدناه على الجلجثة، وسمعنا صرخته المرة وأبصرنا ألمه المميت. ثم أن يوسف الذي من الرامة أخذ الجسد ونحن وضعناه في القبر. فيسوع قد مات. ويُرى في هذه الصورة بطرس جالساً مسنداً رأسه على يديه ويوحنا الحبيب يحاول تعزيته ولكن لا يستطيع الكلام. وهكذا مع خيبة آمالهم في المستقبل وثبوط عزائمهم في حيرتهم وارتباكهم وانذهالهم كان كل وجه من وجوه هذه الجماعة تعبيراً شخصياً لاختبارهم المشترك- يسوع مات "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل".

ولكن نشكر الله أن قصة الإنجيل لا تنتهي بموت المسيح ولا تختتم بصرخة الانتصار: "قد أكمل". فقد تبع موت المسيح قيامته من بين الأموات: إن يسوع كان "من نسل داود من جهة الجسد" ولكن "تعين ابن الله بقوة بالقيامة من الأموات"؛ لقد مات من أجل خطايانا ودفن ولكنه "قام في اليوم الثالث حسب الكتب". هذا هو الاستدلال المنطقي لبولس الرسول. إنه يبني إيمانه بقيامة المسيح أولاً على النبوات والمواعيد القائلة بأنه ينبغي أن يقوم، ثم على ظهور الفادي الحي. إنه يعطينا جدول ظهورات المسيح بالترتيب ثم يدلل برؤيته المسيح المقام- في طريقه إلى دمشق. ثم يختتم الحديث بقوله: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم. إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول سدني دوبل- بعد تبصر عميق في حقيقة هذه الأدلة وخصوصاً في ظهور المسيح لبولس- "إن اهتمام بولس الرسول في وضع كل قيمة كرازته على حقيقة القيامة لهو دليل قاطع على القيامة بل يجعل من عقل بولس دليلاً. إنه ضامن لعدد وافر من الحقائق. كذلك أيضاً باقي الرسل: حقاً إن المقارنة بين عدم تصديق الرسل قبل القيامة وشدة إيمانهم بعدها واختيار القيامة أنها أمُّ الحقائق كلها لهو أيضاً برهان سامٍ لتلك الحقائق".

إن من أعجب الأمور في قصة القيامة كما وردت في الأناجيل الأربعة هو أن جميع أقوال شهود العيان هؤلاء تشدد في ذكر شكوك أتباع السيد أولاً وكان عقلهم مجرد شكوك في شكوك وغير مستعدين أن يقبلوا أي دليل بمجرد الإشاعة- فالنساء "لم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كنّ خائفات" (مر١٦: ١٨)؛ ولما أخبرت مريم المجدلية تلاميذ الرب عن رؤيتها المسيح الحي "لم يصدقوا" (١٦: ١١) وفي الجليل لما رأوا الرب على الجبل "سجدوا له ولكن بعضهم شكوا (مت٢٨: ١٧) وتوما ظل غير مؤمن بقيامة المسيح أسبوعاً كاملاً وبعد ذلك آمن.

إذاً إيمان الرسل بحقيقة وقوع قيامة المسيح لم يكن إيماناً أعمى بل إيمان بصير مبني على بينات متعددة وغير قابلة للنقض إذ "أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً". وكان عدد الذين رأوه هكذا حياً وعرفوه أكثر من خمس مئة أخ (اع١: ٣و ١كو١٥: ٦). وبعد صعود المسيح وحلول يوم الخمسين العظيم لم يبق ظل من الشك في قلب واحد من الرسل، فقد تغيروا جميعاً لأن المسيح كان حياً إلى الأبد وقيامته كانت رجاءهم الحي. إنها كانت المحرك العظيم لرسالتهم وليس لرسالتهم فقط بل لاختباراتهم اليومية. قال بطرس الرسول "هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطى أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهودٍ سَبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات (اع١٠: ٤٠- ٤٢). وكتب بولس الرسول "لأنه وإن كان قد صُلب من ضعف لكنه حي بقوة الله..." (٢كو١٣: ٤). وقال يوحنا الحبيب "يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات". نعم هو حي إلى الأبد ولا يسود عليه الموت بعد لأنه أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. هذه هي قوة الحياة الجديدة في المسيح. إنه في كل مؤمن رجاء المجد وسر النصرة على الخطية. إننا صلبنا ومتنا وقُبرنا مع المسيح ولكننا الآن نحيا فيه ولأجله.

إن صباح القيامة ليرسل نوراً جديداً- نور الأبدية- على جميع الأمور العالمية؛ وهكذا تغير كل شيء بل وكل إنسان من أجل هذا الرجاء الحي- إظهار قوة الله ونصرة الله على القبر الفارغ. إذا "كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً" في النور الجديد نور صباح القيامة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعندما يتحقق الناس وجودَ المسيح الحي حاضراً معهم تُقَدَّر ملاذ الحياة بمقياس جديد. قال داود لفنجستون: "من الآن لا أضع أية قيمة لأي شيء أمتلكه إلا بالنسبة لعلاقته بملكوت المسيح". نقرأ في إنجيل يوحنا: وكان في الموضع حيث صلب (المسيح) بستان وفي البستان قبر: ذلك البستان ما يزال في انتظارنا، إنه مخضل بدم التضحية حيث يثمر فيه جميع ثمر الروح. فإن قوة قيامة المسيح تمكن الناس من أن يواجهوا أعمق أحزان الحياة وحاجاتها بثقة في المسيح الذي يعرف ويريد بل ويستطيع أن يسد كل هاته الحاجات.

إن القلب البشري يجوع لشيئين أحدهما الفداء من الخطية وثانيهما الحياة الأبدية. وأعجب حقيقة في فلسفة تاريخ الديانات هو اعتقاد البشرية عامة بوجود نوع من الحياة المستقبلة بعد الموت وبالمحاولة العامة لإرضاء الآلهة أو الله بجميع أنواع التقدمات والذبائح. والمسيح يتمم هاتين الحاجتين. ومع أن تصورات الشعوب القديمة عن الحياة المستقبلة كانت ضئيلة فقد كانت حقيقية وسائدة على أفكارهم. وإن نفس عبارة "عبادة الأرواح" لتدل على أفضلية الروح على العالم المادي. وليست الديانات القديمة فقط بل وجميع الديانات الكبرى تقول بالخلود وتميل إلى الأمور الأبدية.

إن الناس يؤمنون بالخلود من أجل هذه الحقائق المحسوسة وهي عدم كمال الحياة الحاضرة، ولأنهم يلاحظون أن الأخلاق تنمو غالباً حتى بعد أن تأخذ القوى العقلية في الهبوط، بل من صراخ القلوب ونزوعها إلى العطف والحب (لأن المحبة أعظم من الموت). نرى أن شيئاً في داخلنا يردد صدى صوت العالم الأسمى وهكذا تجذب النفوس دون مقاومة في هذا الطريق الوحيد لمقامها الأبدي. إن كل الأشياء تتجه إلى قلب الله لأنه أصلها وهو أيضاً نهايتها. قال باستير العالم الشهير: إن الذي يعلن وجود الكائن غير المحدود- ومن يستطيع أن ينكره- إنما يجمع في ذلك الإعلان الواحد مما هو فائق الطبيعة أكثر من جميع المعجزات الواردة في جميع الديانات، لأن تصور غير المحدود يوجد صفة مزدوجة فيستولي علينا عنوة ومع ذلك يظل غير مدرك. وعندما يملأ هذا التصور إفهامنا لا نستطيع سوى السجود لذاته العلية والإقرار بها. وإني أرى في كل مكان في العالم دلائل غير المحدود وبه أرى أن الفائق الطبيعة هو في قرارة كل قلب". والعلم يتكلم عن الفضاء غير المحدود والزمن غير المحدود والأعداد غير المحدودة والحياة والحركة غير المحدودتين لأن الله "جعل الأبدية في قلبهم" (جا٣: ١١).

ليس الموت أكثر عمومية من اشتياق النفس البشرية للحياة الكاملة مثل التي أنارها المسيح بقيامته المجيدة وصعوده العجيب.

مهما لاقى المرء حزناً أو آلاماً في الحياة

لا يروم الموت حي أو يقول بالممات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلنا نبغي حياةً ليس موتاً في القبور

بل حياةً لا رقاداً بل بقاء للنشور

ثم مجداً في السماء وخلوداً للدهور

وهذه الحقيقة معلنة في معتقدات قدماء اليونانيين وفي كتاب الأموات (الذي كان في الحقيقة كتاب الحياة) لدى قدماء المصريين وفي كتب قدماء الفلاسفة عن تناسخ الأرواح.

إن مشتهى جميع الشعوب في الحياة الخالدة قد تم في المسيح وفيه وحده. ولقد أعطانا نحن أتباعه رسالة فذة رسالة مناسبة لخطايا البشرية وأحزانها إذ أنار لنا الحياة والخلود بموته وقيامته.

ولما كان روّاد الحق الغيورون في كل عصر ومصر يرون عالماً غير منظور ويسمعون أصواتاً غير مسموعة ويحاولون لمس الحقائق غير المحسوسة- فلن تجذبهم أية رسالة ما لم تكن من عالم غير هذا العالم. وقد بشر المسيح على قبر أليعازر بإنجيل القيامة إذ قال "أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد".

وهذا لب رسالة بولس الرسول. إنه كان يكرز بالمسيح والقيامة، ولم يعرف إنجيلاً آخر غير هذا: "وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقدمون فيه وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أيُّ كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً، فإني سلّمتُ إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم. ونوجد نحن أيضاً شهودَ زورٍ لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون (١كو١٥: ١- ٣و ١٤و ١٥). المسيح قام من القبر لأنه أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل. فإن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح تكون رسالتنا بل ونحن أنفسنا أشقى جميع الناس. ولكننا الآن سفراء قهَّار الموت ملك المجد الأبدي. وإنجيلنا ليس لهذه الحياة فقط بل يتعلق بالأبدية ولذلك فقيمته غير محدودة. الغرض من جميع قوانيننا وأنظمتنا وعددنا بل وسائلنا وأساليبنا ما هي إلا صقالة لكي نبني البيت الأبدي غير المصنوع بالأيادي الذي في السموات.

إن الإنجيل ليس مخدراً يضغط في حلوق الفقراء والبائسين بواسطة الأغنياء والمتغطرسين. بل الإنجيل هو الإعلان أن الأشياء التي ترى وقتية وأن الأشياء التي لا ترى أبدية، وأننا نشترك الآن في هذا العالم المملوء بالظلم في آلام المسيح لكننا سنبلُغُ بالإيمان به إلى قيامة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأموات، فالمسيح هو الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء (فيلبي٣: ٢١).

إن النعم الأبدية المذخرة لجميع المؤمنين في موت المسيح وقيامته كانت فرح الكنيسة الأولى ورسلها وقديسيها وشهدائها والمحرك العظيم لهم: لقد ربحوا العالم للمسيح لأنهم كانوا يحتقرون الدنيا، لقد أسسوا مملكة روحية في كل قطر لأن سيرتهم والوطن المحبوب كانت في السموات. ووضعوا أساسات الكنيسة في كل مدينة لأنهم كانوا "غرباء ونزلاء" وكانوا ينتظرون "المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله".

لا يوجد مظهر في الحق المسيحي أحوَج من هذا إلى زيادة التأكيد. وفي الحقيقة أننا نكون متقدمين في علم اللاهوت إذا حملنا رسالة المسيح المقام والحياة الأبدية هذه على العالم غير المسيحي. إن رسالة إنجيل المسيح عن العالم قد أحرزت تقدماً عظيماً في السنين الأخيرة. ويجب علينا في هذه الأيام أن نضع أعظم ما يمكن من التأكيد على ما في الإنجيل من التعاليم عن الأمور التي تختص بالأبديات. وينبغي للكنيسة أن تنادي بهذه الحقيقة أن ملكوت الله قريب وأن الله سيأتي بسلطانه المطلق للدينونة وللفداء، وأنه يلزمنا أن نجهز نفوسنا في الداخل لمجيء المسيح. وهذه حقيقة رسالتنا بل الإنجيل الأبدي عن يسوع المسيح الذي جاء إلى العالم ومات على الصليب وقام من الأموات وسيأتي ثانية.

فمن بيت لحم ومن الصليب ومن القبر الفارغ ومن السحب التي حجبته عن النظر يشع نور الأبدية. إن الدائرة العظيمة التي تشمل مجمل إيماننا ورسالتنا للعالم يمكن امتدادها إلى أبعد مدى ممكن ولكن يكون لها دائماً كما كان لها في الماضي نقطتان مهمتان- موت يسوع المسيح وقيامته وعلاقتهما بخطية الإنسان وبنصيبه الأبدي. هذا هو إنجيل القيامة.

هل كل ذا أتيتهُ يا رب من أجلي

فكيف لا أحبكا يا رب بالفعل

هل كل ذا تفعله بقوة وبأس

ونحن نبقى ضعفاءْ أو يعترينا اليأس

هيَّا جميعاً نشكر الفادي ونحمد

أحمالنا نلقي له من ثم نسجد

نعطي له قلوبناوالشكر نرفع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الحزن أم في الفرح أم في الضيق نخضع

وهكذا في عيشنا من ثم بعد الموت

نشدو له تسبيحنا دوماً بأعلى صوت

في العيش أم في الموت في الحزن أو في الاثم

مسيحنا يكفي لنا إذ قال هذا قد تم

مسيحنا آخرنا وإذ كان في الأول

في البدء كان الكلمة وفي السما الأكمل.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

 All rights reserved © 2008-2018